

T
58A

الشعر السياسي في العراق الحديث

بقلم

حبيب الراوي

رسالة قدمت الى دائرة اللغة العربية في الجامعة
الاميركية للحصول على درجة "استاذ علوم"

بيروت

الجامعة الاميركية

١٩٥٤ / ١١ / ٢٧

كلمة لا بد منها

لقد حاولت اقامة هذا البحث على اساس العناصر الفنية فيه ،
فبدأت في قليل الشعر السياسي في العراق الحديث الى " الحرية "
و " الاصلاح الاجتماعي " و " نقد الحكومة " و " النفوذ الاجنبي " وخصصت
فصلاً لكل منها ، واخذت في الكتابة حتى اذا انتهيت وجدت كل
عنصر يلتقي مع غيره في اكثر من موضع ، فالحديث عن الحرية يتصل
اتصالاً وثيقاً بنقد الحكومة وبالنفوذ الاجنبي ، وكذلك الحديث عن
الاصلاح الاجتماعي يتصل بغيره اتصالاً قوياً ، فظهر لي ان هذا
العنصر يصعب تقسيمه الى عناصر متعددة وان خير وسيلة لدراسة
هذا الفن سلوك الطريقة التاريخية ، التي سرت عليها في هذا
البحث .

وقد سافرت الى بغداد ، لغرض الحصول على القصائد التي
نشرت في الفترة المذكورة ، ذلك ان معظم القصائد مبعثر في صفحات
المجلات ، والكتب ، فلا بد للباحث من الرجوع اليها ، وقد اشرت
في المقدمة الى الصعوبات الناجمة من وراء ذلك . وقد بعث التي
جماعة من الشعراء - بناءً على طلبي - مختارات من قصدهم ، مخطوطاً
بايديهم ، فلهم الشكر على ما اضعوه من وقت وعناء .
وقد تأخر تقديم الرسالة الى هذا الوقت ، لاني كنت عازماً على
تقديمها في شهر حزيران لان الاقدار شاءت ان تجرى لي عملية استئصال
الكلية اليسرى في مستشفى الجامعة الاميركية ، وانني احمد الله على
نجاحها على ايدي اولئك الاطباء الابرار ، فلما عادت صحتي الى الحالة
الطبيعية ، استأنفت العمل من جديد ، حتى انتهيت منه في شهر
تشرين الثاني .

ولا يسعني الا ان اتقدم بالشكر الجزيل الى استاذي
الجليل الدكتور جبرائيل جهور الذي كتبت هذه الرسالة تحت
اشرافه ، فقد كان مثالا للمرشد ومثالا للاستاذ ، وقد لقيت
منه كل عطف وتعاون ، وكانت آراؤه السديدة وتوجيهاته القيمة
خير عون لي على المضي في العمل ، وان كان ثمة نقص في هذه
الرسالة فانني وحدي مسئول عنه ، واشكر اساتذة الدائرة العربية
لما ابدوه من ملاحظات صائبة وتوجيهات قيمة. ولولا ان الحكومة
العراقية ومؤسسة (فلبرايت) الثقافية في بغداد ، قد اتاحت
لي الفرصة للدراسة في الجامعة الاميركية ، لما ظهرت هذه
الرسالة الى حيز الوجود ، فلهما مني خالص الشكر .

هيب الردي

بيروت في ١١/٢٧/١٩٥٤

المقدمة

هذا بحث في الشعر السياسي وتطوره في العراق ، منذ قيام الحكم الوطني حتى ممارسة الحكم ^{السياسي} فيصل الثاني ^{عليه السلام} واستلامه السلطات الدستورية . وفي خلال هذه الفترة ، مرت بالعراق احداث سياسية كبرى من نوع لم يكن قد الفه منذ عدة قرون ، وكانت بداية تلك الاحداث تحرره من الحكم العثماني ، فمنذ ان اكتسحت بغداد على ايدي المغول في القرن الثالث عشر ، لم يتم فيها حكم وطني ، وتناوب الحكم فيها اسراعجية في الاصل واللسان ، وكانت فترة الحكم العثماني ، اطول فترات الحكم الاجنبي ، وقد استطاعت هذه الدولة ان تركز سلطانها باسم الدين ، حتى اندحرت في الحرب العالمية الاولى ، وانتشر الوعي القومي ، الذي لم يكن قيام الحكم الوطني الا استجابة له .

وقد عالجتنا هذا الفن لانه توسع واصاب من الانتشار والتجديد ما لم يصبه غيره من فنون الشعر الاخرى ، فبينما كان من قبل يطفئ على الشعر العربي الغزل اذ يمدد الشعراء به لمدايحهم ووصفياتهم وحماستهم ، اليوم تنعكس الاية ، فيطفئ الشعر السياسي والاجتماعي ، وتبرز فيه الناحية الوطنية ، ويتجه الى مقارعة النفوذ الاجنبي ، والتنديد بالحكومة ، والاهابة بها ان تقوم بواجباتها ، والتغنى بالمجد التليد والعز الغابر ، لاستشارة الهمم ، والدعوة الى الاخذ باسباب العلم والحضارة للنهوض بالامة ، ولا ينسى آمال الشعب وامانيه في مدائح لرجال السياسة والحكم ، والواقع ان الموضوعات السياسية في الشعر العراقي الحديث تكوّن الجزء الاعظم من هذا التراث الفكري . ولا شك ان الظروف التي مرت بها البلاد ، وكفاحها من اجل الحرية والتقدم ، والوعي الفكري ، ويقظة الروح القومية ، كل هذه ، كانت لها تأثيرات متباينة في خلق هذا الفن من الشعر .

واذا كانت الحياة الاجتماعية قد اصبحت ذات صلة وثقى بالاوضاع

السياسية ، نتيجة اتساع واجبات الدولة تحت تأثير الاتجاهات السياسية الحديثة ، لا سيما المذهب الديمقراطي الذي اخذ ينتشر بسرعة ، واصبحت الحكومات التي تقوم على نظم ديمقراطية ، تتدخل في كثير من الشؤون ، كالتعليم والصحة ، وايجاد العمل للعاطلين ، ومن هنا اصبحت الدولة مسؤولة عن كثير من الامور ، التي لم تكن في نطاق واجباتها بالامس ، فاخذ الشعراء يصلون هذه المشاكل الاجتماعية بوجود الدولة ، فينعون عليها تفريطها في مثل هذه المسائل ، ويطلبون اليها معالجة مثل هذه الاوضاع ، اما الشعر العربي القديم ، فلم يتناول هذه الموضوعات ، على ان لها جانبا سياسيا ، لذلك نرى الشعر طوال تلك المدة يعرض صورا من الشقاء الاجتماعي ، ولكنه لا يلتصق لها حلولا من جانب الحكومة ، ولما نجد شاعرا ينبه الحاكمين الى اصلاح تلك المشاكل آنذاك .

وليس الشعر السياسي حديث عهد بالادب العربي ، ففي الجاهلية كانت القبيلة تؤلف وحدة اشبه ما يكون بالدولة ، كان الشعر الذي يدافع عن امجادها ، ويرد على خصومها ، هو الشعر السياسي بالنسبة لها ، سواء كان ذلك متصلا بقبيلة اخرى او امة اخرى وفي بداية الاسلام وقف حسان يدافع عن النبي وكانت قصائده ذات طابع سياسي ، لان القبيلة لم تعد وحدة سياسية ، انما اصبحت الدولة القائمة على الدين هي تلك الوحدة ، ومن هنا وقف حسان يقارع خصوم النبي ومنهم من ابنا جلدته وافراد قبيلته ، وحين نقرأ شعراء الخوارج والشيعة والفاطميين ، والامويين والعباسيين ، نلتصق فيها ذلك الشعر السياسي الذي يقوم على تأييد شخص معين ، او حزب ، او مذهب ديني ، الا انه لا يعتبر من الشعر السياسي ، المعبر عن امانى الامة وآلامها ، كما هي الحال في عصرنا الحاضر ، ولعل ذلك الشعر الحزين الذي تنبعث منه انات عميقة في شكوى الزمان وفساد المقاييس ، ودم الحياة ،

كثير منه شعر سياسي مكبوت لم يهيا له ان ينطلق الا بهذا الاسلوب .
وقد كان الموضوع شائكا لان كثيرا مما نظم في هذه الفترة
لم يجمع ، بل ما زال متفرقا في بطون الصحف والمجلات ، بل وان بعضه لما
ينشر بعد ، ومن العسير الان ان تجد مجموعات كاملة من الصحف التي
نشرت هذا اللون من الشعر ، فلا اعلم ان هناك مؤسسة في العالم
العربي غنيت بجمع الصحف وتنظيمها ، واذا كانت بعض المكتبات تحتوى
على مجموعات من تلك الصحف ، فانها غير كاملة ، فقد تجد اعداد سنة
معينة ، ولكتك تبحث عن اعداد السنة التالية ماو التي قبلها ، فلا تعثر
عليها ، وحتى مجموعة السنة الواحدة كثيرا ما تجد بعض اعدادها مفقودة
من بينها ، وذلك مما يعرقل الباحث ، لانه لا يستطيع ان يستوفى صورة
كاملة للبحث الذي هو بصددده .

ومما يزيد في مشقة البحث عدم وجود فهرس ، وليست الجرائد
وحدها لا تكتب فهرسها على الغلاف ، بل حتى بعض المجلات الاسبوعية
او الشهرية لا تهتم بهذه الناحية ، ان تهمل ذكر الموضوعات فسي
مقدمتها او آخرها ، وقليل من تلك المجلات من تعنى بوضع فهرس
سنوية باسماء الكتاب والموضوعات ، على غرار المجلات الغربية وبعض
المجلات العربية ، لذلك فقد كنت مضطرا الى متابعة معظم تلك الجرائد
والمجلات ، صفحة صفحة ، وهو امر يقتضى من الجهد والوقت ما لا يعلمه
الا من كابد مشقة مثل هذا البحث .

وبالرغم من كل ذلك فهناك بعض القصائد ، والتي لا بد
من اثباتها لمن يريد البحث في مثل هذا الموضوع ، والتي لم يتهيا
لها ان تنشر ، وقد اضطرني ذلك الى مراجعة عدد من الشعراء
وقراءة ما لديهم ، وقد ارسل الى فريق منهم مختارات مما نظموا ،
فكان ذلك عوناً لي على مواصلة العمل .

والباحث في هذا الموضوع لا يأمن المزالق ، فما زلنا نعيش الفترة التي نتحدث عنها ، وانه لمن الصعوبة ان يقف الانسان بمعزل عن الاحداث التي تلعب دورها في تاريخ حياة الامة دون ان يقع تحت تأثيرات خاصة ، غير اني بذلت الجهد في ان انظر الى الموضوع نظرة مجردة محايدة ، بقدر ما تسمح به طبيعة مثل هذه الدراسة ومصادرها .

وقد اقتضيت ، بقدر ما لا يخل بوضوح البحث ووصف الاحداث التي تعرض لها الشعر السياسي ، وسوف نرى ان كثيرا منها كان موضع اختلاف ، وما كان همنا ان نستقضي وجهات النظر تلك ، ونتعمق فيها ، بقدر ما نريد ان نتبينه من آثارها في الشعر السياسي ، اذ لا يفترض في الشاعر ان يكون مؤرخا ، لان الاول لا يؤخذ عليه ان يندفع وراء العاطفة والخيال ، مما يجب ان يبرأ منه الثاني ويتجنبه .

وقد اغفلت بعض الشعراء الذين لا ترى في قصائدهم مظهرا فنيا ، انما تجد كلمات مسطرة ، وابياتا قد تسير مع الوزن وقد تراها كسيحة ، وهي تحاكي اسلوب القرن الماضي في الشعر ، اما الشعر الشعبي فقد ساهم في الحقل السياسي ، لا سيما في الفترة الاولى ، وهي فترة الانتداب ، وكان خير من يمثله عبود الكرخي ، وقد اقتبست شيئا من قصائده .

ولم اهل الادب الكردي ، الذي لم يقدر له من الذبوع والانتشار ما يستحق ، فاقبست منه بعض النماذج ، التي تنعكس عليها بعض الاتجاهات الادبية ، وان كانت قليلة العدد .

لقد نُشرت عن تاريخ الشعر السياسي في العراق ، مقالات وموضوعات متفرقة ، في كتب او صحف او مجلات ، الا انها عكس الاجمال تتسم بطابع الايجاز والتعميم ، فلا تتناول تفاصيل الموضوع ،

وتحدد الادوار التي مَرَّ بها ، والخصائص الفنية التي ظهرت في كل دور من هذه الادوار ، وهي تنصب - في الغالب - على دراسة لبعض الشعراء ، ولكنني في هذا البحث حاولت بيان الادوار التي مَرَّ بها الشعر السياسي ، والتطورات التي طرأت عليه ، ومقدار تأثيره بالاحداث السياسية التي انعكست فيه .

ولا بد لي من الاشارة الى العوامل التي اثرت في الشعر السياسي في العراق خلال هذه الفترة من حياة العراق ، فقد كان التيار الذي انطلق في العالم العربي عقب اعلان الدستور العثماني قد سار باستمرار حتى كانت الحرب العالمية الاولى ، يوم طافت نسي الازدهار فكرة التحرر من الحكم الدخيل ، وحين نكس الاتحاديون عن الوفاء بعهودهم ، ثم قام الحلفاء بالفعللة نفسها بعد الحرب العالمية الاولى ، فاخذ الشعراء يرسلون قصائدهم داعين الامة الى الاعتماد على النفس وعدم الركون الى الحكم الدخيل .

وقد اثرت الاحزاب السياسية في ازدهار الشعر السياسي ، فالحفلات التي كانت تقام في المناسبات الوطنية ، كثير ما عمدت تلك الاحزاب فيها الى دعوة الخطباء والشعراء للمساهمة بها ولو اردنا ان نستقصي القصائد التي القيت في مثل هذه المناسبات لاستطعنا ان نتوصل الى عدد كبير منها ، والشعر اكثر اثارة للرأي العام وتوجيها للجماهير من الكلام المنشور ، مما شجع الشعراء على تقديم انتاجهم في مثل هذه المناسبات بوفرة .

اما الصحف ، فقد لعبت دورا هاما في نهضة الشعر السياسي ، ولكن كان بعض هذه الصحف قد اقتص بالامور الادبية ، وبعضها الاخر قد اقتص بالمسائل السياسية ، فانها كانت مرسحا للتيارات الاجتماعية ، وهذه اصبحت ذات صلة وثقى بالاوضاع السياسية ، ومن هنا كان الشعر

الذي يدور حول تلك القضايا - غالباً ما يعكس الامور السياسية ، وقد اتخذ الشعراء من تلك الصحف منابر لاشعارهم ، وكانهم استعاضوا بها عن اسواق الشعر في العصر الجاهلي .

وكان انتشار الوعي بين الاجيال الطالعة ، وازدياد عدد المثقفين الذين يقرءون ما يكتب في الصحف ، ويتأثرون بالتيارات التي قد يتعرض لها البلد ، مما ادى الى تجاوب روعي بين هؤلاء وبين الشعراء ، فقد اصبح الشاعر ، على رأى الكثيرين ، هو المعبر عن آمال الامة وآلامها ، وانك لتقرأ نضائد الشعراء في العهد العثماني فتحس انها صوت الرأى العام ، الذي يخطو يجيئ في القلوب ، ويضطرم في النفوس .

وقد جعلنا التقسيم الزمني للشعر السياسي كما يلي :

١ - فترة الانتداب : وقد بدأت سنة ١٩٢٠ ، وفيها تشكلت اول حكومة وطنية برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب ، وقامت هذه الوزارة بتهدئة الاوضاع الداخلية ، واقرت عدداً من النظم ، ونادت بالملك فيصل الاول ملكاً على العراق .

وفي هذه الفترة عقدت سلسلة من المعاهدات بين العراق وبريطانيا ، وانتخب المجلس التأسيسي وهو اول برلمان عراقي سنة ١٩٢٤ ، وكانت خاتمة هذه المرحلة يوم انتخب العراق لعضوية عصبة الامم في جنيف سنة ١٩٣٢ .

٢ - بداية مرحلة الاستقلال : بدأت بدخول العراق عصبة الامم ، والاعتراف باستقلاله استقلالاً تاماً ، واذاً كانت قد حدثت في هذه الفترة حوادث داخلية متعددة ، فقد استطاعت البلاد ان تخطو خلالها بعض الخطوات نحو الامام .

٣ - الحرب العالمية الثانية : لئن اتخذ العراق منها بادئ الامر موقف الحياد فسرعان ، ما ظهرت عوامل ادت به الى ان يصطدم بحليفته بريطانيا ، ولكن ذلك الاصطدام سرعان ما انقضى ، وعادت الامور

الى مجاريها ، ووقف العراق مع بريطانيا ضد المحور حتى نهاية الحرب .

٤- مرحلة بعد الحرب : وفيها وقعت حوادث داخلية متعددة ، كما انعكست آثار كارثة فلسطين في حياة العراق ، فحدثت آثارا بليغة في الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية .

وانني اذ اقدم هذا البحث باعتباره محاولة اولى ، ارجو ان تمهد الطريق لمحاولات اخرى ، لدراسة كل فن من الفنون الادبية ، في كل قطر من اقطار العالم العربي ، فان ذلك مما يعين الباحث ان يسلك الطريقة العلمية ، ويجنبه كثيرا من مواضع الزلل ، فالحقيقة التي لا نستطيع انكارها اليوم ، ان العالم العربي ، يتألف من اجزاء مترامية الاطراف ، يقع كل منها تحت تأثير عوامل سياسية واجتماعية وطبيعية متعددة . وهذه كلها تعكس تأثيرات متباينة في الحياة الفكرية بصورة عامة ، والشعر على الاخص ، لانه اكثر من غيره اتصالا بالبيئة وتجاوبا مع الاحداث ، وتأثرا بالظروف التي تحيط به ، ومن هنا انبعثت الدعوة بان تكون الدراسة الادبية مبنية على اقليمية الادب ، والى هذا الاتجاه قصدت .

الحكم الوطني :

الفصل الاول

فترة الانتداب

١٩٢٠ - ١٩٣٢

كانت الثورة العراقية خاتمة عهد الاحتلال البريطاني ، فقد رأت بريطانيا نفسها مضطرة ان تتخلى عن سياستها التي سارت عليها في العراق ، فاعلنت الانتداب محل الاحتلال ، فكان ذلك هو الخطوة الاولى نحو قيام الحكم الوطني ، تحت اشراف بريطانيا ، وكانت هذه الفترة مليئة بالاحداث السياسية الجسام ، التي تركت اثرا واضحا في مستقبل العراق .

وفي مقدمة تلك الاحداث قيام الحكم الوطني ، وتبوء الملك فيصل الاول عرش العراق ، الذي تم انتخابه بنسبة عالية من السكان ، بالرغم من ان بعض الالوية امتنعت عن التصويت ، وبالرغم من المعارضة التي ابدتها بعض الطامحين في العرش ومؤيديهم ، وقد مهد لهذا الانتخاب بدعاية واسعة النطاق كما سنرى ، ومن ثم فان قدوم فيصل الى العراق كان مبنيا على ثقته بانه سينال ثقة الشعب ، الذي كان يتطلع الى عاهل عربي ، وثقة الحكومة وبريطانيا معا .

وكان " المجلس التأسيسي " اول دورة للبرلمان في تاريخ العراق ، وقد اثار عاصفة من الحماسة في نفوس الناس الذين وقفوا بين مؤيد ومعارض ، فالاولون يرون فيه الدعامة الاولى من دعائم الاستقلال والنظام الديمقراطي في الحكم ، اما الآخرون فقد رأوا انه سيتخذ وسيلة لابرار المعاهدات ، وتقييد البلاد بالنفوذ الاجنبي ، وسوف يفصل القول في هذه القضية .

ولم تقم العلاقات بين بريطانيا والعراق على اساس ثابت ،
فالمعاهدة التي ابرمت بين الفريقين سنة ١٩٢٢ ، سرعان ما نالها
التغيير والتعديل ، ففي فترة لا تتجاوز الثماني سنوات ، عدلت المعاهدة
للمرة الرابعة ، وهذه المعاهدات كلها ، هي التي حددت العلاقات بين
العراق وحليفته ، وقد رأى اكثر الوطنيين في تلك العلاقات رمزا
للعبودية والاستكانة للحكم البريطاني ، مما سنعرض له في هذا الفصل
من البحث .

١ - فيصل الاول

في يوم ٢٣ آب سنة ١٩٢١ توج فيصل بن الحسين ملكا على
العراق ، وتم التمهيد لذلك باقامة الحكومة المؤقتة تحت رئاسة السيد
عبد الرحمن النقيب ، فاحس الناس ان مستقبلا زاهرا ينتظرهم ، واخذوا
يتطلعون متفائلين نحو عهدهم الجديد الذي يستقبلونه ، وقد عرض الزهاوي
في قصيدته "الترحيب بعبد الرحمن النقيب" (١) صورة لتلك الامل التي
تساور النفوس ، وكتب صحيفة قائله :

"في فجر اليوم هتفت ارواح الاجداد من منازلها الخالدة
هتاف الفوز والنصر بعد ان صمت نحو سبعة قرون صوت الحزن والكآبة .
سبعة قرون مرت على ابناء عدنان لم يذوقوا فيها طعم الملوكية ...
نحن اليوم لا نبتهج وننشد اناشيد الظفر لان ملكا جلس على اريكته
وحسب ، بل لان نفوسنا حييت بعد مواتها وآمالنا تحققت بعد ان
حوطها اليأس احاطة السوار بالمعصم" (١) وفي مثل هذه المعنى كتبت

(١) جريدة العراق ، ١٩٢١ / ٣٨٢ .

جريدة دجلة في افتتاحيتها تحت عنوان "تهنئة وذكرى" (١) ذلك ان بغداد عادت مرة اخرى عاصمة الملك واخذت نهج سياسة عربية ، بعد ان كانت سياستها موجهة من قبل الحاكمين فيها .

وقد تضافرت عوامل عدة على تمهيد السبيل امام فيصل ان يكون ملكا منها اتصاله مع الرسول بوشيجة النسب ، ولسنا في حاجة الى اعادة القول في مسألة الخلافة والامامة واتصال الحكم بالنسب القرشي طوال العهد الاسلامي ، ومن العوامل الاخرى مساندة بريطانيا له ، (٢) ثم انسياب الوعي القومي الى الشعوب الشرقية ، وتسرّب الافكار السياسية الحديثة الى هاتيك الشعوب ، فكان من نتائج الانطلاق الفكري تشوق العرب الى الحكم الذاتي . (٣)

(١) جريدة دجلة ١٩٢١/٥

(٢) انظر الفصل السابع عشر من كتاب Ireland .

(٣) اشترك فيصل سنة ١٩١١ في حملة جردت لاختاد ثورة قام بها عرب عسير ، وفي ١٩١٣ قاد حملة ثانية على الادريسي الناصر ثم انتخب مبعوثا عن جدة في المجلس النيابي العثماني ، وفي سنة ١٩١٥ ارسله ابوه مندوبا عنه الى السفاح ^(عبدالله) بشأن فريق من المجاهدين العرب ، فبيت له الغدر ، وحين احس بذلك استطاع الهرب والنجاة ، وفي سنة ١٩١٦ عين قائدا للجيش الشمالي في الثورة التي انبثقت ضد العثمانيين وفي ٦ تموز سنة ١٩١٧ استولى على العقبة وصار بعد ذلك القائد العام لجيوش الجنرال اللنبي ، وفي اثناء سنة ١٩١٨ دخل الشام ظافرا وفي ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٨ سافر الى باريس ليمثل العرب في مؤتمر فرساي وفي ١٢ ايلول سنة ١٩١٩ سافر الى لندن للمفاوضة مع الانجليز ، وفي سنة ١٩٢٠ نادى به المؤتمر السوري العام ملكا دستوريا على سوريا ، وفي السنة نفسها خاض معركة ميسلون ضد فرنسا ، ثم غادرها اثر انتصار الفرنسيين وسقوط الحكومة العربية ، وفي سنة ١٩٢١ تبوأ عرش العراق . (انظر كتاب : فيصل الاول للريحاني ص ٢٢٣ - ٢٢٥)

وفي الوقت الذي اتجهت فيه الانظار الى قيام حكم عربي مستقل ، كان الناس يتساءلون عن سيكون على دست الحكم (١) لان عددا من المتنافسين كانوا يبذلون قصاراهم للوصول الى العرش ، وكان من ابرزهم منافس تتصل دعواه السياسية بالنسب الديني ، وبأنه واحد من ابناء العراق ، ذلك هو السيد طالب باشا النقيب (٢) الذي اخذ ينشر الدعوة الى انتخابه ملكا على عرش العراق ، ففي قصيدة عنوانها "الدر النضيد في خصال العميد" (٣) يخاطبه الشاعر قائلا :

مما لك الاسلام فيك اغتدت واثقة ان حماها يسان
فاسلم لها حصنا وقف دونها كموقف الليث الشديد الجنان

ومن قصيدة عنوانها "الى طالب" للشاعر خيرى الهنداوى :

اطالب ان لم تطلب الحق بالقنا سيبقى برغم المجد وهو مضيع
تطالبني نفسي بزورة طالب فاعزم لكن الحوادث تمنع (٤)

وفي "كتاب مفتوح الى صاحب الدولة الى العميد طالب باشا والى رجال الامة العراقية وزعمائها" (٥) دعوة لتسليم مقاليد الحكم

(١) كان هنالك عدد من المتنافسين من بينهم السيد طالب النقيب وابن سعود ووالي المحمرة ، ووالي "بشت كوه" ، واغا خان والامير التركي برهان الدين ، والامير عبد الله (راجع الفصل السابع عشر من Ireland)

(٢) عين وزيرا للداخلية في الحكومة الموقته .

(٣) جريدة الشرق ١٩٢٠ / ٧

(٤) الادب المعصرى ١٧٠ / ١

(٥) جريدة الشرق ١٩٢٠ / ٧

الى المرشح المذكور .

وفي الوقت نفسه كانت الدعوة الى تأييد فيصل آخذة طريقها ، سواء كان ذلك بين الشعب ام في جهاز الحكم ، ومن امثلة ذلك ان النقيب رئيس الوزارة الموقته ، كان احد المعارضين فلم يلبث تحت تأثير هذه الدعاية ، حتى تخلى عن موقفه ، واصبح واحدا من المؤيدين ، وقد لعب الضباط الذين اشتركوا في الثورة العربية في الحجاز ، دورا كبيرا في الدعاية لفيصل ، لانهم لمسوا فيه كثيرا من المزايا والصفات التي تؤهله للاضطلاع باعباء الحكم ، كما قام عدد من الشعراء يومئذ هذه الدعوة ، وحين تقرأ قصيدة عنوانها " الزواج المستعار " (١) ترى فيها تعريضا بمن ينافسون فيصلا ، وتحديا لهم بان تسلم العرش لا يكون الا برضاء الشعب :

قل لمن يخطب ليلى	لزواج يزدرىها
هل يصح العقد شرعا	دون ارضاء ذويها

وقد لعبت الصحافة دورا هاما في الدعوة لفيصل ، وتمنيد حجج مناوئية ، وكان من ابرز الصحف التي سارت في هذا الاتجاه جريدة " الشرق " و " العراق " و " لسان العرب " و " الاوقات العراقية " البصرية ، و " الموصل " و " دجلة " وعدد اخر من الصحف التي اتخذت طريقا معتدلا في دعوتها .

وقد كتبت جريدة دجلة وصفا لحفلة اقامها السيد عبد الرحمن النقيب ، للامير فيصل ، بعد ان كان من المعارضين له فقالت : " ادب ليلة الجمعة الماضية ساحة نقيب اشراف بغداد ورئيس الحكومة الموقته في العراق مأدبة فاخرة احتفاء بسمو الامير فيصل ، وقد القى

(١) ديوان ذكرى استقلال العراق ١٩١٨ .

فيها حضرة الشاعر الكبير معروف افندي الرصافي خطبة بليغة ضمنها هذه الايات (١)

ماذا يريد المرجفون	بكل بهتان وزور
من بعد ما بدت المنى	للقوم باسمه الشغور
في دار مولانا النقيب	لوجه مولانا الامير

مد النقيب الى الامير	يد المعاضد والنصير
فليخز كل مشاغب	في القوم يلهج بالشور
وليحيى مولانا النقيب	حياة مولانا الامير (٢)

مع العلم ان الرصافي كان احد المناوئين لفیصل ، لانه من انصار النقيب ، ولندع الرصافي يتكلم عن نفسه " ولما وصلت الى بغداد وواجهت النقيب عبد الرحمن افندي علمت بعد ذلك انهم يريدون معارضة فیصل باعتبار "العراق للعراقيين" ثم اجتمعنا عند النقيب مع السيد طالب وانا كنت من جملة المؤيدين لهذه الفكرة . . . ولما نفى طالب باشا النقيب علمت انه لم يبق لي شأن في هذا الموضوع " (٢)

وحين اصبحت الظروف مواتية لفیصل ، اخذت الامل تداعب خواطر الكثيرين في تأسيس المملكة الجديدة ، التي ستأخذ على عاتقها مهمة الاصلاح ، والعمل على بعث المجد القديم ، ودفع الاخطار المحدقة بالوطن ، وانك ان تقرا قصيدة "تأسيس المملكة" (٣) للشاعر مهدي البصير

(١) جريدة دجلة ١٤/١٩٢١ وانظر ديوان الرصافي ص ٢٨٧ .

(٢) مجلة "الثقافة الجديدة" عدد ١/١٩٥٤ ص ٢٢ .

(٣) ديوان الشذرات ص ١١ .

تراه يدعو الى التعاون والتآزر في سبيل اقامة الحكم الجديد ، ويطلب
ان يكون الاصلاح والتهذيب هدف هذا الحكم :

يا قوم حفت بنا الاخطار محدقة وفي التآزر عنا يدفع الخطر
ليصدق السعي في تأسيس مملكة تروج في سوقها الافكار والصور
ليطرق الشعب اصلاح يهذب به لا يرتقي الشرق حتى تصقل الفكر

ثم يوجه الشاعر نداه الى الصحافة مهيبا بها ان تقوم بواجبها
فتنهج نهجا قويا لا انحراف فيه ، وتؤدي رسالتها في تنوير الحياة
الفكرية ، وتوجيهها وجهة صحيحة :

لتستقيم خطط الاقلام ان رسمت لا يرتقي الشرق حتى تصقل الفكر
فلاصحافة من اقلام ساستها سيل باودية الازهان ينحدر

وفي قصيدة عنوانها "مقر التاج" (١) للشاعر نفسه ، يدعو فيها بغداد الى
استعادة مجدها القديم يوم كانت حاضرة بني العباس ، ومقر الملوك
والخلافة :

هي الى المجد يا بغداد ناهضة وليتبع خطط الابهاء ابنك
عودى بتاج بني العباس منتظما فلا مقر لذاك التاج الاك

ومثل هذه المعاني نلتبسها في قصيدة " يعيد التاريخ نفسه " (٢) للشاعر
ابي المحاسن :

يايها الوطن العزيز لك الهنأ قد نلت اشرف بهية ومراد
سيعيد تاريخ العلى لك نفسه ويعود مجد رجالك الامجاد
آساد غاب ليس ينكر بأسهم وبنوك نسل اولئك الاساد

(١) الشذرات ص ٧ .

(٢) الادب العصري ١٣٤ / ٢ .

وبالرغم مما نظم الشعراء من قصائد معدودات ، الا ان الناس كانوا يتطلعون الى توجيه للرأى العام ، من قبل اولئك الشعراء الذين **لغمت** عليهم جريدة العراق سكوتهم قائلة : " مما لفت نظرنا سكوت شعرائنا الاناضل في هذه الايام ، فلا فلسفية للزهاوى ، ولا وصفية للرصافي ، ولا حكمة للشبيبي ولا حماسية للهنداوى ، ولا غمزات للدجيلي ... اني مثل هذه الظروف التاريخية تخلدون الى السكوت ايها الشعراء ... " (١)

ولكن هذا السكوت لم يدم طويلا ، فحين تأكد الناس بان تأسيس المملكة اصبح في حكم الامر الواقع ، وان فيصلا هو الذى سوف يتبوأ العرش طفق الشعراء بباركون العهد الجديد ، ويحيون العاهل العربي .

ففي سلسلة من المآدب التي اقيمت على شرف فيصل كان الزهاوى والهاشمي والبناء والازرى وغيرهم من الشعراء ، قد نظموا القصائد ترحيبا بالعهد الجديد (٢) كما ان الاحتفالات في المناطق المختلفة كانت بواعث للشعر في تعجيد الملك العربي ، ولم تال الصحافة جهدا في توشيح صفحاتها بما تنفثه قرائح الشعراء بهذه المناسبة ، وما كانت تلك الافراح التي اعلنها الناس في حفلاتهم او خطبهم او قصائدهم احتفاءً بفيصل ، بقدر ما هي استبشار بعهد جديد ، يعود فيه السلطان العربي ، بعد ان ظل نحو من سبعة قرون تتعاوره الايدى الاجنبية .

(١) جريدة العراق ٣٩٨ / ١٩٢١ .

(٢) انظر ما كتبته جريدة دجلة في عددها ١٩٢١ / ٧ تحت عنوان

"في مأدبة البلدية" و"الشعراء المرحبون" .

ففي قصيدة عنوانها "بشرى" (١) للشاعر عيسى عبد القادر ،
يرى ان قيام الحكم الجديد ، عودة لعهد هرون الرشيد ، وعصره
الزاهر :

هـارون نم في راحة	فبنوك لما يخضعوا
قد شيد لاستقلالهم	امرّ فلا يتزعزع
وعلا ربوع عراقهم	علم لـذاك مربع
ان قد اقيم (لفیصل)	عرش العراق الارفع
والیه قدّم تاجهم	والكل صار يرجع
مریا ملـیک فاننـا	لك من بنانك اطوع
انت الملـیک الامر النا	هـی ونحن الخضع

وكان الزهاوی من اكثر الشعراء استبشارا بالعهد الجديد ، ففي قصيدة
عنوانها "ایها الملـک" یخاطبه الشاعر قائلا :

انا محیوک فاسلم ایها الملـک	ومصطفوک لعرش شاء الفـلک
عرش العراق ضمان للعراق وفي	تأييده الشعب والاحلاف تشـرک
ما ان اقامک اهلا فی تبوءه	الا الاصالـة فی الاراء والحنک
لله با فیصل ما انت مورثه	للعرب من شرف فی شکره اشترکوا
وجدت افکارک الائی قد اتسعت	مثل السماء التي فی وجهها حبک
فی نهضة برجال کنت ترأسهم	حینا لتحریر اوطان بها انسبکوا (٢)

ومن الصعوبة ان نحیط بكل ما نظم فی الترحیب بفیصل الاول
لکثرته ولکننا نشیر الی بعض الصحف التي كانت تنشره ومنها "العراق"

(١) جريدة العراق ٣٨٢ / ١٩٢١ .

(٢) الادب المعصری ٤١ / ١ .

و"الاستقلال" و"دجلة" و"الفيد" و"الشرق"، كما نلتزم مثل هذه القصائد في ديوان "الزهاوي" و"الشذرات" للبصير ومجموعة "الادب العصري في العراق العربي" وديوان "ذكرى استقلال العراق" للبناء .

اما الاساليب التي درج عليها الشعراء في مدح الملك ، فلم تخرج عما سلكه الاقدمون ، في كثير من الاحيان ، من ذكر للحمى ، واظهار للشوق والصبابة ، وبكاء على ايام الصبا ، ثم التخلص من كل ذلك الى الغرض الاصيل الذي نظمت من اجله القصيدة ، ومن امثلة ذلك :

ما مربي ذكر الحمى والاربع	الا وفاضت بالصبابة ادمعي
شط النوى فغدوت من الم الجوى	ذا مقلة عبرى وقلب مولسح
روحي الفداء لجيرة ودعتهم	واحسرة لموتع وموتع
...	...

فعلت ان قد بان كوكب فيصل ملك العراق بن الامام الانزع (١)

وقام فريق من الشعراء يستخدم "التاريخ الشعري" الذي شاع في الشعر العربي خلال العهد العثماني بكثرة ، ومن امثلة ما قيل ترحيبا بفيصل :

زرت العراق فبا اهلا بزائره	حيث الحضارة تعلو في مراتبها
اعظم بها زورة جئنا نو رخها	شرفت يا فيصلا قطر العراق بها (٢)

وهناك بضع ملحوظات وقصائد من هذا القبيل ، فلم نر حاجة لاثباتها لانها لا تنطوي على براعة فنية في الشعر .

وقد اخذ الشعراء يستلهمون التاريخ العربي ، وما منه من امجاد قام بها اسلاف الملك ، وحاجة الوطن اليه للنهوض والسير نحو

(١) جريدة العراق ٣٨٩/١٩٢١ .

(٢) جريدة دجلة ١٢/١٩٢١ .

الامام ، ومن امثلة ذلك :

الحامل العبة الثقيل وابن البتولة والرسول
نسل اليها ليل العظام العز ذو المجد الاتيل
هو من ارومة هاشم العلـــــــــــــــــيا ذو الشرف الاصيل
شبل الحسين السيد الضرغام والاسد المديـــــــــــــــــل (١)

وما علينا الا ان نقرأ القصائد التالية " ليحيى العلم مجدد " (٢) و " ايها الملك " (٣) و " يعبد التاريخ نفسه " (٤) و " ايها العلم " (٥) و " تحية العلم العربي " (٦) و " العرب الكرام " (٧) لنلمس الترحيب والحفاوة اللتين قوبل بهما ترشيح فيصل ملكا للعراق .

وبالاجمال فان الناحية الفنية في الشعر العراقي ، خلال هذه الفترة لم تظهر عليها اثار واضحة للتيارات الجديدة ، وقد وصفها الريحاني بقوله " ليس في العالم العربي اليوم لغة للشعر جديدة باجمعها بمباينها ومعانيها ، باساليبها وفنونها ، باغراضها ومصادر وحيها " (٨) والشعر العربي لم يتحرر تحررا كاملا ، وان كانت هنالك اثار للتحرر والتطور ، تبدو في الشعر الحماسي الوطني ، الذي طغى على سائر الفنون الاخرى

(١) جريدة العراق ١٩٢١/٣٨٧ .

(٢) الادب العصري ١٠٢/٢ .

(٣) الادب العصري ٤١/١ .

(٤) الادب العصري ١٣٤/٢ .

(٥) الادب العصري ٣٦/١ .

(٦) ديوان الزهاوي ١٦٥ .

(٧) الادب العصري ١٣٤/٢ .

(٨) الريحاني : قلب العراق ٢٤٩ .

للشعر ، وهو ان يتناول موضوعات جديدة ، فانه لم يستطع الا ان يتناولها بالاساليب التي سلكها الشعراء من قبل ، على ان هذا الشعر يرتفع احيانا ويهبط اخرى على قدر ما اوتى الشاعر من موهبة فنية ، ومقدرة على الابداع ، ومشاركة الامة في آمالها والامها ، تبعث في هذا اللون من الشعر حياة وقدرة على اثارة المشاعر والاحاسيس . اما التجديد في المعاني ، فقد اعتمد على الاتجاهات الجديدة في المذاهب الفكرية والسياسية من دعوة للحرية والاصلاح الاجتماعي ونيل الاستقلال التام ، والاخذ بأسباب العلم والحضارة ، وتقوية بناء المملكة ، ونهذ دواعي التفرقة والقطيعة بين ابناء الوطن الواحد ، واستعادة لذكرىات المجد القديم ، والاتجاه الى الرابطة القومية ، بعد ان كانت الدعوة الى الرابطة الدينية في العهد العثماني ، والتحذير من مكائد المستعمرين واساليبهم في المكر والخديعة ، وتلبية مطالب الشعب برضوخ الحكومة لارادته ، والتنديد لسياسة الحاكمين حيناً ، والمستعمرين حيناً آخر ، وتحرير المرأة وطلب مشاركتها في الحياة العامة ، والدعوة الى القوة فسي استعادة الحق السليب ونيل الاستقلال الناجز .

٢ - البرلمان

شهد العراق الحياة البرلمانية سنة ١٩٢٤ ، للمرة الاولى ، حين افتتحت دورته الاولى التي اطلق عليها اسم "المجلس التأسيسي" ، وقد اطلق هذا الاسم على هذه الدورة من المجلس ، لانه اخذ على عاتقه القيام بوضع الدستور الذي يقرر نظام الحكم ، ويرسم للدولة اسمها الجديدة ، وكانت لائحة المعاهدة العراقية البريطانية من اولى اللوائح التي عرضت عليه .

اما قبل قيام الحكم الوطني ، فلم يكن ثمة برلمان في العراق ،
ففي مرحلة الاحتلال البريطاني ، كانت الادارة بيد الانجليز ، الذين
لم يشاءوا تطبيق النظام البرلماني الذي هو الدعامة الاولى من دعائم
الحكم الديمقراطي بل فضلوا الادارة العسكرية في مرحلة الحرب وما
بعدها .

وفي عهد الحكم العثماني ، كان قد تألف مجلس نيابي في دار
الخلافة هو " مجلس المبعوثان " وكان العراق آنذاك ، يعتبر جزءاً من
الامبراطورية ، لذلك فان فريقاً من العراقيين قد ساهموا في البرلمان
العثماني ، من بينهم الشاعران العراقيان معروف الرصافي وجميل صدقي
الزهاوي (١) ولكننا لم نسمع في قصائدهما شيئاً ^{سراً} عن ذلك البرلمان ، وربما
كانت القصائد التي نظمها الشاعران في التنديد بالسلطان عبد الحميد
الذي خلع عن العرش ، وعن استبداد رجال الحكم آنذاك ، ربما كانت
تلك القصائد صدى للحياة البرلمانية ، وما فيها من حرية للنقد ، ومن
العوامل التي ساعدت على تلك الحرية وضع الدستور الذي انبثق عن
التيارات الفكرية الجديدة ، وعن مساواة الحكم التي كانت قائمة يومئذ .

وحين قام الحكم الوطني في العراق ، على اساس ديمقراطي ،
دعت الحكومة الى تأليف برلمان ، يأخذ على عاتقه مهمة لتشريع وتمثيل
الشعب ازاء الحكومة . ولعل الرصافي كان اول الشعراء الذين شاركوا
الحكومة رغبتها في اقامة هذا المجلس ، فقد عاد الى العراق بعد ان
غادره على الا يعود اليه ، ويبدو ان الامل كان يملأ جوانحه هذه المرة
في ان يحقق بعض امانيه ، وان يخوض معترك السياسة كما خاضها نسي
المجلس العثماني ، حين اصبح عضواً فيه بعد اعلان الدستور ، ففي قصيدة

(١) انظر مقال " الرصافي يتحدث عن نفسه " في مجلة الثقافة الجديدة
١٩٥٤/١ والادب المصري لرفائيل بطي في موضوع " الزهاوي " .

عنوانها " الى ابناء الوطن " وقد القاها في حفلة تكريمية اقيمت له ناشد فيها الناس بمعاودة الحكومة في انتخاب المجلس التأسيسي فقال :

سر في حياتك سيرانابه ولم الزمان ولا تحابه

لا بد للوطن العزيز	من المسكن لاضطرابه
من مجلس للشعب ينظر	بالتأمل في مآبه
وينوب عن ابنائه	ان صادقوه على منابه
حتى نرى امر البلاد	به يعود الى نصابه
ابنت حكومتنا له	والشعب ليس له بآبه
اترى الحكومة تبغيه	ونحن نعرض عن طلابه
هذا لعمر ابيك ما	يدعو الحليم الى انتخابه
هلا يقوم القاعدون	سارعين الى انتخابه
كي ينفذ الوطن الذي	صرف الزمان له بنابه
وغدا يهدد بالبرار	بنيه بور في ترابه
ان لم تكونوا مدركيه	فلا محالة من خرابه (١)

على ان الدعوة الى انتخاب البرلمان ، لم تكن موضع اتفاق بين جميع ابناء الوطن ، فان الارادة الملكية قد صدرت في ١٩ تشرين الاول سنة ١٩٢٢ بان تبدأ الانتخابات في ٢٤ من الشهر نفسه ، ولكن الفكرة لقيت معارضة شديدة " حيث اتحد العلماء والوطنيون والشيعة في معارضة تنفيذها " واقنع كثير من العلماء باصدار الفتاوى لتحريم اي اشتراك في الانتخابات ، وقد توقفت تلك الانتخابات في كثير من المراكز الشيعية ، فاستقالت اللجان الانتخابية ، واعلن الموظفون عن فصلهم في تأليفها ، وقد بذلت مساع جمة لاقناع العلماء في العدول عن موقفهم

(١) ديوان الرضائي ص ٧١

ولكن تلك المساعي ذهبت ادراج الرياح ، وانتهى الامر الى قيام مظاهرات اضطرت معها الحكومة الى ابعاد بعض العناصر التسيي اشتريت فيها ، وانتهى الامر باجراء الانتخابات وقيام المجلس التأسيسي . (١)

ولكن كثيرا من الصحف الوطنية هبت مستبشرة بقيام الحكم النيابي . وكانت جريدة الاستقلال اكثر حماسة من غيرها في الدعوة الى المجلس التأسيسي ، فهو الدعامة الاولى من دعائم الحكم الذاتي ، على رأيها ، لان ارادة الامة هي التي ستكون مصدر السلطات . اما المعارضة في ميدان الشعراو الصحافة ، فانها بالرغم من انتشارها في مناطق واسعة ، وبين عدد كبير من الناس ، فانها لم تترك آثارا واضحة ، ولعل للجهود التي بذلت من جانب الحكومة اثر واضح في اخفات تلك المعارضة ، فلم يتها الجولها الا بعد ابعاد عدد من العناصر المثيرة لها .

(١) انظر تفاصيل ذلك في الفصل الحادي والعشرين من كتاب Ireland وهذه صورة احدى الفتاوى التي صدرت لمقاطعة الانتخابات في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ " بسم الله الرحمن الرحيم ، الى كافة اخواننا المنتدبين المتمسكين بشريعة سيد المرسلين صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين . . . لا يخفى على كل ذي لب انه صدر منا الحكم بحرمة (كذا) الانتخابات واعلنا الى كافة المؤمنين وكتبنا ان الداخل فيه والمساعد عليه كمن حارب الله ورسوله واولياءه صلوات الله عليهم اجمعين . . . وليعلم ان حكم الله لم يتغير وان الجهة التي دعتنا الى التحريم لم تتبدل " .

وفي النهاية انتصرت الفكرة ، ودعى الناس الى التصويت
لانتخاب اعضاء البرلمان الذى اطلقوا عليه المجلس التأسيسي ، وقد
وجهت جريدة الاستقلال الى الناخبين النداء التالي " ... ستجتمعون
اليوم لانتخاب النواب ... انه المجلس التأسيسي الذى يؤسس اركان
هذه الدولة ويؤيد سلطان هذه البلاد ، ويرسم الخطط لتشييد
بناء المستقبل ، ويضع المناهج لسير الامال القومية لهذا الشعب
المنكود الطالع الذى لم يساعده الحظ لئن يعيش عيش احط الاسم
الغريبة منذ عشرات القرون " (١)

وقد تم انتخاب الاعضاء الذين اطلق عليهم اسم " المندوبين "
على اعتبار ان الامة هي التي انتدبتهم للدفاع عنها ، وقد افتتح يوم
الخميس في ٢٧ اذار سنة ١٩٢٤ ، فكتبت جريدة العراق : " قد
دخلنا اليوم عهدا نبيا ، نأمل ان نتمتع فيه بكل الحرية التي تتمتع
بها الشعوب الناهضة " (٢) وكتبت العالم العربي " في هذا اليوم
الخالد يبتدىء عهد الاستقلال الفعلي ، وتبرز لأول مرة شخصية الامة
في نوابها " وكتبت صحيفة اخرى " ما احلى هذا اليوم وما اطيبه
نرى فيه مثلي الامة ومظهرى ارادتها تجتمع لتبت في مستقبل البلاد "
وكانت المهمة الاولى للمجلس المذكور هي وضع دستور يعين نظام الحكم ،
ويحدد القواعد العامة التي تخضع لها الدولة ، لذلك فقد علق المواطنون
اهمية عظمى على المجلس المذكور ، وراحت الصحف تنبه المندوبين الى
ما ينتظرهم من تبعات جسام ، كما قام الشعراء بذكرهم بالتزاماتهم
تجاه الشعب ، ففي قصيدة عنوانها " من الشعب الى المندوب " (٣) يذكرهم

(١) جريدة الاستقلال ١٩٢٤/٣٦٧

(٢) جريدة الاستقلال ١٩٢٤/٣٩٨

(٣) جريدة العراق ١٩٢٤/١١٩٣

فيه بان مجلسهم يجب ان يحقق رغائب الشعب ، ما دام منبثقا عن ارادته
ومشيئته .

ارادة الشعب حكم لا تغالبه	كل القوى فامض فيما انت طالبه
فما ارادتك العليا بنافذة	الا اذا اجتمعت فيها رغائبه
ليت العراق درى ماذا ستورده	هذى الرجال وهل تصنومشاره
قد مثلوه على ما قبل في زمن	بهم عواقبه كثر عجائبه
فلينظروا كل امر يقطعون به	فالشعب يرفض الا ما يناسبه

وهذا الاستبشار يطوى في ثناياه الحذر ، مما سيرمه المجلس التأسيسي
من معاهدات وما يتخذه من قرارات ، قد لا تنال رضا الشعب ، ومثل
ذلك قول البناء :

يايها النائب المندوب عن ام	القت اليه مقاليد التدابير
احذر مناقشة الشعب الحساب غدا	من دون عذر واشفاق وتوفير (١)

وهذه المعاني التي تناولها الشعراء ، كما تناولتها الصحافة ، كانت وليدة
الوعي الجديد ، ووليدة التيارات الفكرية التي اجتاحت ربوع الشرق ،
فقد كتبت جريدة الاستقلال قائلة :

"خرقت الستائر فزال الحكم الفردي حتى تطورت الحالة الى
ما نراه في دور النهضة وعرفت الامة موقفها وحراجته ، عرفت معانسي
السلطات ومقاصدها ، عرفت انها ترزح تحت قيود اثقلتها ، وعرفت
آنئذ حاجتها الشديدة الى الاستقلال". (٢)

واذا كان البرلمان من اهم دعائم الحكم الديموقراطي الذي

(١) الاستقلال ١٩٢٤ / ٤١٣

(٢) الاستقلال ١٩٢٤ / ٣٦٦

يقوم على الحرية ، فان الناس قد استبشروا بهذا الحادث العظيم
في حياة البلاد ، بعد ان ارهقهم الاستبداد العثماني ، وقد اتجه
الشعراء مطالبين باطلاق الحريات ، ومن اهمها حرية الصحافة ، لانها
من ابرز مظاهر الحكم الديمقراطي الذي اختاره العراق نظاما ، وقد
اصبحت الحرية معشوقة الناس بعد ان حجبت عنهم طويلا ، ولنستمع
الى احد الشعراء داعيا اليها ، هاثفا بها :

الى نفة استقلال مهبط وحينما	أبث لظى وجد يشب بها
نيا نسمة من مسقط الرأس اقبلت	يطيب امراض المفارق طيبها
فاني على حرية الصحف منشد	متى يتغنى منشدا عندليبها (١)

ويتجه هذا الاتجاه شاعر اخر هو محمد الخليل ان يقول :

يا ايها النواب حسبكم	حرية الاتوال والعمل
في مجلس التأسيس ان لكم	صوتا يرن بسمع الدول (٢)

ولم يكف الشعراء بتوجيه النداء الى النواب ، بل اخذوا يطالبون
الشعب ان يعنى باختيار مثليه ، من اولئك الذين يسهرون على مصالحه ،
ولا يفرطون في حقوق البلاد ، واليك نموذجا لهذا اللون من الشعر :

لا تنتقوا نائبا ما لم يكن يقظا	لا يغفل الطرف منه كيفما دارا
لا تنتقوا نائبا ما لم يكن علما	ثبت الجنان على الاحداث جبّارا
لا تنتقوا نائبا ما لم يكن اسدا	على محو اهل الظلم مغسّوارا
اولئك القوم نواب توّيدهم	يحققون لهذا القطر اوطارا
ويرفعون صروح العلم زاهية	ويدفعون عن الاوطان اخطارا
نريده نائبا من راح يحملنا	لا من يجعلنا بالظلم اوقارا
الى الامام كرام القوم ان بنا	في صفحة المجد بالاقدام آثارا (٣)

(١) الاستقلال ١٩٢٤/٥١٨

(٢) الاستقلال ١٩٢٤ / ٤٠١

(٣) الاستقلال ٣ آب سنة ١٩٢٣

والقصيدة بجملتها تشير الى المحاذير الناجمة عن اساءة انتخاب النواب
من لا يصلحون للنياية . وقد استخدم الشعر لتأييد المرشحين ،
ولكننا قلنا نعر على هذا اللون من الشعر في الادب النصيح ، انما
كان الشاعر الشعبي عبود الكرخي يستخدمه على نطاق واسع ، ومن
امثلة ذلك قصيدة له في تأييد احد المرشحين ،^(١) وهو كاظم الشمخاني .
ومثلها قصيدة "ترشيح المحسن الكبير" ^(٢) التي يدعو فيها
لهذا المرشح ، وقصيدة "الى الثانوى الكريم" ^(٣) التي يدعو فيها
لمرشح اخر هو جعفر ابو التمن ، وكلها باللغة العامة ، وحين تم تأليف
البرلمان ، وتعاقت دوراته ، اخذ بعض الشعراء يقفون منه موقفاً
سليماً .

ففي قصيدة عنوانها " قانون جبر الخواطر" ^(٤) ينعى الشاعر
على الحكومات المتعاقبة بانها لم تسلك سبلاً قويمه في الانتخابات ، وانما
كانت تتخذ منها وسيلة للانعام على المنسوبين ، واسكات المناوئين ،
ولندع الشاعر يلقي قوله :

مضى زمن والبرلمان وسيلة	لاسكات منسوب واقناع آخر
وكانت قضايا الانتخابات كلها	تسير على قانون "جبر الخواطر"
وقد بذلت تلك الوزارات جهدها	لاقصاء ارباب النهى والضائر
وهل تركت بين المقاعد مقعداً	لتكريم فنان وتقدير ماهر

ولكن المجلس - سواء في دورته الاولى ام في الدورات
المتعاقبة بعده - لم يحقق ، على رأى الكثيرين رغائب الامة ومطامح

(١) جريدة المفيد ١٩٢٥ / ٣٨٨

(٢) جريدة الكرخ ١٩٢٤ / ٣

(٣) جريدة الكرخ ١٩٢٤ / ٨

(٤) ريوان العواطف ص ١٤١

الشعب .

ففي قصيدة "رب القصر في نومه" (١) صورة اولئك الشيوخ
من العشائر الذين الفهم المجلس النيابي ، وهم يضطهدون فلاحهم ،
ولا يقرون ضيفا ، بل يتركون كلابهم تنبح وتفرغ القادمين ، وفي
كل دورة تعاودهم الاحلام في العودة الى البرلمان .

وفي مقطوعة عنوانها "ابناء الشعب والنواب" (٢) ينعى
الشاعر على الاعضاء انهم تركوا السفينة تعبت بها الرياح ، وكان
سكوتهم عن حقوق الامة قد جعل المصائب تنزل بها :

نوابنا وشئوننا	لما استهد بها العلوج
شأن السفينة عافها	الريان في بحر يموج
ولقد غدا من صمتكم	للنائبات بنا ضجيج

ويتمنى الشيخ علي الشرقي في قصيدته "او هام" (٣) لو حل البرلمان ساعة
انعقاده فهو لا يكثر لعظام الامور ، بل يهملها ويوجه اهتمامه الى
الصغائر :

ندوة تهمل الامور الخطيرة	فهو من حولها كدجلة مسرت
واذا جاءت القضايا الصغيرة	جلبت ضجة وكرت وفسرت

برلمان العراق مذ اوجدوه	صوروه بابدع التصوير
ما لاجل التصوير قد عقدوه	بل لاجل التشريع والتدبير

(١) ديوان العواطف ص ١٤٢

(٢) رباعيات الحبوي ص ٣٧

(٣) ديوان عواطف وعواصف ص ١٠٥

وفي قصيدة "المجلس المفجوع" (١) يرسم الشاعر صورة المجلس حين يكون التصويت على اللوائح المعروضة عليه ، فترفع الايدي للتصويت ، دون روية في الامر ، وانما يكون ذلك رهن اشارة توجه الى المصوتين :

ولقد اقول لرافعين اصابعها ليست تحس كأنها احطاب
رهن الاشارة تختفى او تعتلى وينال منها السلب والايجاب
هل تنهضون اذا استثيرت نخوة او تجمدون كأنكم اخشاب

وقد طفق الشعراء يسخرون بالمجلس حيناً ، وبأعضائه حيناً آخر ، ويعرضون صوراً للأساليب التي يستخدمها النواب للوصول الى اهدافهم .

ما بين (دار الاعتماد) ومنزل (المنـدوب) رثت ارجلي (٢) ونعالي
طلبت يوم الانتخاب لكي افز وبذلت ما بين الوري اموالي (٣)

وقد شارك الشعر الشعبي في التندر بالنواب ، ومن اكثر صلة بالشعب من نائبه ؟ وما نجده من الوان في هذا الادب ، انما هو صورة للانكار السائدة عند هذه الطبقة من الناس ، فقد اتهم النواب ، بانهم لا يمثلون مصالح الامة ، بل هم صنائع الاجنبي :

ايها النائب سكوت اسكت ارجو روح موت (٣)
منين تشرب (فيرموت) و (ويسكى ، وبيرة ، وعصير)
فقط فكرك طلع صائب ولذا تنتصب نـائب
حيث انت لسلاجانب من صرت خادم حقير

(١) ديوان الجواهري ص ٢٨٣ (طبعة ١٩٤٥)

(٢) ديوان الجواهري ص ٢٨٣ جريدة الكرخ ١٩٤٤

(٣) جريدة الكرخ ١٩٢٤/٣

جميع اكله ما تفوتك بالقواطي زقنبوتك (١)
وانت كان البصل قوتك دائمي وخبزر الشعير

جايها يا فحل ربك حيث (ابونا جي) (٢) يحبك
روح عاد اصحك بعبك اصبحت نائب كبير

اظهرت كل الخصومة الى الموطن والحكومة
بالنباية طلعت بومسة وكشف صبغك بالاخير

ولا تغارق الجواهرى ثورته حتى على البرلمان فلنستمع اليه اذ يقول :

ومن ظن المجالس عامرات بمدح انها شحنت سبابا
ويعرف من اراد صميم شعبي ربما اى شاكلة اصابا
ويدرك اين صفو الماء عنه وريقه اذا ورد اللعابا
ولو عرفت بلادى ما ارادت بها النواب لم ترد انتخابا (٣)

وهو لا يقف عند هذا الحد ، بل يرى ~~ان~~ اولئك الاعضاء قوما هوجا ،
واذا نوقشت القضايا كانوا نائمين ، وهي تصب رزاياها على الشعب
بشكل منظم ، وهو بذلك يريد ان يخلق من البرلمان صورة للمقهى ،
يقتل الناس فيها اوقاتهم بالتناوب والتدخين

هنالك قصر قد اعدت قبابه لتدخين بطالين هوج ونوم
تصب على الشعب الرزايا وانما يصبونها فيه بشكل منظم (٤)

(١) طعامك .

(٢) بريطانيا .

(٣) ديوان الجواهرى (ط ٢) ص ١٣٦ .

(٤) ديوان الجواهرى (الطبعة الثانية) ص ٢٩١ .

ولئن وقف الشعراء من البرلمان هذا الموقف ، ولئن كان بعض ما قالوه منظوياً على حق ، فإن البرلمان ضرورة للحياة الديمقراطية لا غنى عنها ، وإذا كانت السبل التي تسلك للوصول الى مجلس النيابة غير صحيحة احياناً ، فإن ذلك لا يبرّر الوقوف موقفاً سلبياً ازاء البرلمان ، بل يجب العمل على قيام حياة ديمقراطية صحيحة ، تقوم على التمثيل الحقيقي للشعب الذي يستطيع ان يملأ ارادته على الحكومة بواسطة ممثليه .

وثمة اثر آخر للبرلمان لا في الشعر العراقي فحسب ، بل في الحياة الفكرية عامة ، فطالما وقف اعضاءه يدافعون عن حريسة الفكر ، ويهيبون بالحكومة ان تمنح الصحافة حريتها كاملة ، وكثيراً ما اثّرت في البرلمان من المشاكل السياسية ما ينبعث صدام في الحياة العامة ، ويثير العواطف ويدفع الشعراء الى المساهمة في تلك الامور . وبالرغم من ذلك النقد الذي وجه الى البرلمان ، كما اشرنا ، وبالرغم من انه لم يسقط حكومة واحدة بطريقة الاقتراع طوال هذه الفترة - بالرغم من هذا كله فإن المعارضة كانت وما زالت قائمة فيه ، تخالف الحكومة احياناً ، وتتفق معها احياناً اخرى ، ولكنها تثير من القضايا العامة والمشاكل السياسية ، ما يحفز على المساهمة فيها .

وإذا كان العراق حديث عهد بالحياة البرلمانية ، بل بالحياة الديمقراطية ، فإن ما نشهده فيه من نقص في اساليب الحكم ، لم يكن الا وليد تلك الرواسب القديمة التي انحدرت البنا من اعماق الماضي ، وكلما انتشر الوعي وعمت الثقافة ، رسخت اسس الحياة الديمقراطية ، وظهرت للبرلمان اهميته الكبرى .

ولا حاجة بنا الى القول ان الشعر لا يزدهر الا في ظل الحرية ، ولو اردنا ان نستقري تطورات منذ العصر الجاهلي حتى الان لاستطعنا ان نظفر بامثلة تقيم الدليل على صحة هذا القول ، ففي العصر الجاهلي بلغت الحرية مرحلة هي اقرب الى الفوضى ، يوم كانت القبيلة هي الهيئة الاجتماعية والسياسية التي يخضع لها الفرد ، وهذا الفرد الذي لا تحد حريته الا تقاليد وعادات معينة ، وحين جاء دور الاسلام ، لم يقيد من حرية الناس .

وما يدريك لعل اضحلال شأن الشعر ، فيما نطلق عليه الفترة المظلمة من الزمن ، وهي فترة الحكم المغولي والعثماني ، يعود على الارجح ، الى ذلك الارهاب الذي ساد البلاد التي وقعت تحت سيطرة اولئك الغاصبين ، واذا كانت بعض المؤلفات العلمية قد وضعت في تلك الفترة ، فانك لا تستطيع ان تعثر على شعر يرتفع الى مستوى ما قبل في العصور التي سبقت .

٣ - المعاهدات

منذ بداية الحكم الوطني ، اشير الى معاهدة تحدّد العلاقات بين العراق وبريطانيا ،^(١) ولكنها لم تبرم الا بعد مرور سنتين اي في سنة ١٩٢٢ ، وقد تمت الموافقة عليها آنذاك من قبل مجلس الوزراء ، اما مجلس الامة فانه لم يكن قد ظهر بعد الى الوجود ، فقامت المعارضة تحمّل عليها حملات منكّرة ، لانها رأت في تلك المعاهدة انتقاصا من سيادة البلاد واجحافا بحقوقها ، فعدّلت مرة اخرى ، ولكن الصيغة

(١) انظر البرقيتين المتبادلتين بين الملك جورج الخامس والملك فيصل الاول

عند تسنمه العرش (Ireland: Appendix: 8)

قامت من جديد لان الاسباب التي دعت الى رفضها لم تنزل قائمة ، بالرغم من ان مجلس الامة قد صادق عليها هذه المرة ، فعدلت للمرة الثالثة ، حتى كانت سنة ١٩٣٠ فعدلت للمرة الرابعة والاخيرة . وقد نصت على استقلال العراق وتمتعه بسيادته كاملة غير منقوصة . ولكن الواقع لم يكن هذا ، فان التغييرات الشكلية التي طرأت على البلد لم تبدل من الحقيقة شيئا منذ مرحلة الاحتلال ، ثم الانتداب بعدها . فالاستقلال فقد " شاءت السياسات التي تعاقبت على البلد ان يظل اشبه بامتداد لعهد الاحتلال ، واذا كانت وجوه الحاكمين قد تغيرت ، فان اصول السياسة وطبيعة العمل في ميادين الحياة كافة لم تتغير . فقد كثرت الوعود وكثرت معها الاقوال ، وضم احرار البلد ، وكمت الالسنه وتعددت المعاهدات التي لم تحقق للبلد رفاهها او املا في هذا الرناء " ، ومع انقضاء عدة سنوات على تلك المعاهدات فما زالت الشكاوى ترتفع ، والاصوات تتعالى من التدخل الاجنبي باسم تلك المعاهدات ، وقد اشرنا من قبل الى مأساة عبد المحسن السعدون ، الذي لم يستطع ان يوفق بين وجهة النظر العراقية ووجهة النظر البريطانية ، فآثر الموت على الحياة ، ونعى على بريطانيا وفوفها ضد مصلحة البلاد ، وبالرغم من وقوع هذه الكارثة فقد ابرمت المعاهدة ، كما اشرنا ، واخذ الناس يرقبون سير الامور وتطور الاحوال ، فاذا بهم يشهدون كل شي يسير على مجراه السابق ، مع استثناءات محدودة ، وكل ما تغير ان النصوص التي تضمنتها تلك المعاهدة ، كانت تفسر بين حين واخر تفسيرات مختلفة ، لم تكن يوما في صالح العراق ، وهكذا تمر الايام وهو ما زال يشكو جور المعاهدات ، واستغلالها من قبل الجانب القوى .

ومن اولى القصائد التي تطالعنا في التنديد بالمعاهدات
قصيدة للزهاوى عنوانها "يستفتى ويهدد"^(١) ومنها :

تلغى معاهدة واخرى تعقد والشعب يستفتى لها ويهدد
والشعب يطرى للجهالة خنجرا في صدره عما قريب يغمد

حتى يقول :

الشعب بالقيد الثقيل مكبل حتى يكاد اذا تحرك يقعد

وبعد ان تم ابرام المعاهدة ونشرها ، وقف منها الرصافي الشاعر موقف
الرصافي العضو في البرلمان ، والذي كان احد المعارضين ، ونشر
قصيدته التي عنوانها "تغد نشر المعاهدة" ومنها :

نشروا المعاهدة التي في طيها قيد يعش بارجل الامسال
وفيها يقول :

والعهد بين الانجليز وبيننا كالعهد بين الشاة والرثيال^(٢)

وقد اخذ الزهاوى هذا المعنى فقال :

لقد عقدت حملانه باختيارها مع الذئب عهدا واستنامت الى العهد
وقد حمد الحملان صفقة عقدها وسوف يرى الحملان عاقبه العقيد^(٣)

ثم تمضي الايام ، فتبقى ذكريات المعاهدة ماثلة في الازهان ، تعيد الى
الذاكرة صورة النفوذ الاجنبي ، الذي اتخذ منها وسيلة لتدخله في شئون
البلاد ، وفي ذلك يقول الجواهري :

(١) الاوشال ص ٦٤

(٢) ديوان الرصافي ٥١٢

(٣) الاوشال ص ٨٣

انا لنبرأ من نصوص عندنا تمضى على ما لا نحب وتمهر (١)
اما الشاعر النجفي فيتصور الحكومة ، وقد تعلقت بالغرب خلال المعاهدات ،
ملتزمة فيها الدواء لما تعانیه من ضعف وشيخوخة ، فلم يسعها ذلك
الدواء ، وهذه ابيات من القصيدة :

أيا دولة شاخت وان تك طفلة وقد خرفت من قبل ان تبلغ الرشد
وقد نفخت حتى تطير بسرعة ولكنها انشقت لدى نفخها اشتدا
يرومون ترقيعا لها ورقاعها تسابقها بالفتح ان قدمت عهدا
فلا في سياساتها بلغت منى ولا في اقتصادياتها بلغت قصدا

ثم يعرج الشاعر على النفوذ الاجنبي فيها ، ويرى ان ارتباطها بالغرب
قد أدى بها الى الهزال والضعف ، حتى اصبحت هيكلها عظيما لا يستطيع
الاعتماد على نفسه :

تروم طب الغرب برءا لدائها فتطعمها سما فتحسبه شهيدا
عقاير طب الغرب هدت كيائها فلم يبق الا العظم قد فقد الجلد
هي الهيكل العظمي يسحب ماشيا ولم تر من اسناده بالعصا بدا (٢)

ويستعرض شاعر اخر تلك الاحلاف التي لم تحقق امانتي البلاد :

هل حقق الحلف ما كنا نؤمله استغفر الله بل غطى على الامل
ثم ينتهي الى تلك التعابير التي صيغت في لندن ، حيث عقدت المعاهدة ،
فكانت اغلالا تفيد العراق ، اما الذين وقعوها فقد ادعوا انها الخطوة
الاولى نحو العمل المثمر ، وعندى ان الشاعر لم يوفق من الناحية الفنية
في البيتين التاليين ، لان الصورة التي رسمها فيهما لا تنسجم عناصرها

(١) ديوان الجواهري ٢٢ / ٣

(٢) قصيدة لم تنشر للشاعر .

ولا تأتلف الروانها :

صِغَتْ بلندن اقراط واسورة من الحديد وان كانت من الجمل
قالوا عشية خطتها اناملهم هذى هي الخطوة الكبرى الى العمل^(١)
والى مثل هذا التضليل يشير الرصافي في قصيدته " بين الانتداب والاستقلال " ^(٢)
فيرى ان تلك العهود الموهبة ليست الا قيودا يغفل بها استقلال البلاد ،
وتسلب حريتها :

خلقتم لنا من كل عهد موه قيودا بها استقلالنا بتقييد
الى ان غدا استقلالنا ضحكة الورى به ساخر كل امرئ ومندد
وفي قصيدة عنوانها " الميثاق " ^(٣) للشاعر حبيب العبيدي ،
وصف لما تنطوى عليه المعاهدة من خداع وتضليل ، فهي حين تنص على
حقوق الشعب في التمتع بحريته وسيادته ، تحول في الوقت نفسه ، بينه
وبين ممارسة هذه الحقوق المنصوص عليها ، والشاعر هنا يلقي حديثه
على لسان الشعب ، مصورا حاله في التناقض القائم بين النصوص المثبتة ،
والواقع الذي يعيش فيه الشعب :

نحن في معجم السياسة شعب رب ملك وما ملكنا حطاما
نحن في معجم السياسة شعب ذو نظام وما ملكنا النظاما
نحن في معجم السياسة احرار ولكننا فاصرون يتامى
ثم ينطلق الشاعر ، وراء التعابير التي وجدت في الحرب العالمية
الاولى وما بعدها ، من مرادفات الاستعمار ، كالوصاية التي استغلت
من قبل المستعمرين للايقاع بالموصى عليهم ، وهم اشبه باليتام ثم يسأل

(١) من قصيدة عنوانها " بين العراق وحليفته " لشاعر كعراقي كبير كما
قالت عنه جريدة الجهاد في عددها الصادر في ١٨ آب سنة ١٩٣٠ .

(٢) ديوان الرصافي ٤٦٩ .

(٣) جريدة البلاد ٣٠ / ١٩٣٠ .

الحليفة ان تخفف تلك القيود التي فرضتها تحت ستار الحلف والمعاهدات :

ايها المفترى الوصاية فينا ظلمت اوصياؤك الايتاما
خففي ايها الحليفة عنسا من قيود اصبحن عارا وزما

والشاعر ينحو في قصيدته "العراق والحليفة" (١) المنحى نفسه ، وينعش
على الحليفة مكرها ودهاءها ، ويتابعه في هذا الاتجاه الشاعر محمود
الملاح في قصيدته "صوت البلاد" (٢) التي نظمها بمناسبة قدوم المعتمد
السامي الجديد وها نحن نقتطف منها ابياتا تشير الى الغموض الذي
يتعمده البريطانيون في المعاهدات ، كي يفسروها ويستغلوها لمصالحهم :

ارى كل صوت عند انجلترا ركرا وان بلغت اصوات صارخنا الجوزا
فان كان في الاذان وقرنما الذي دهى أعينا ملهم فلا تفقه الغمزا
مضى (كوكس) مع (دوبس) و(كليتن) وها نحن نبغى ان نواجه (هفزا) (٣)
عميد رجال حنكتهم تجارب قد اتخذوا لب الدهاء لهم رمزا
فلا يبرمون الامرا كان واضحا ولا يقطعون العهد ما لم يكن لغزا (٤)

ولعل من اطرف القصائد في بيان اساليب الانجليز في المكر
والخدعة ، قصيدة للشاعر ابي المحاسن الكربلائي ، الذي تقلد منصب
الوزارة اكثر من مرة في العهد الفيصلي ، وفيها يدير حوارا بينه
وبين غادة رائعة الجمال ، يرمز بها الى بريطانيا ، التي تعترف بان

(١) جريدة البلاد ٤٢ / ١٩٣٠

(٢) جريدة البلاد ٢٨ / ١٩٢٩

(٣) الاسماء التي بين الاقواس ، للمندوبين السامين البريطانيين الذين
تعاقبوا في العراق منذ سنة ١٩٢٠ حتى تاريخ نظم القصيدة .

(٤) جريدة البلاد ٢٨ / ١٩٢٩

بنيها " يرق قولهم ويقسو فعلهم " وقد اتخذوا الخداع سجية لهم ،
فحين يدعون الرأفة والعدل والسلام ، لا يعنون حقائق هذه
المفاهيم ، انما يعدون الى التضليل والتمويه ، وما ارى بأسا في
اثبات هذه القصيدة التي عنوانها " انجلترا مثلة في فتاة " (١) وقد
سلك فيها الشاعر اسلوبا قصصيا متعا :

انجليزية تروق وتسبى	عاشقها بوجنة وردية
برزت وانشت فاشرق بدر	نير فوق صعدة سميرية
قلت ما نسبة الفتاة فقالت	واشارت لخدّها : لندنية
قلت بالله من ابوك فأومت	لي بالطرف : ناظر الحربية
قلت هلا شفيت وجدّ قلوب	نارها مثل وجنتيك ذكية
اعرفت دولة الملاحة فيكم	وباهلك قامت المدنية
كيف اصبحت مستبدّة حسن	ابن ضلّت محاسن الحرية
يا فتاة سلّت على الظبى	نابليون من لحظها ظبا مشرفية

ويخيّل اليّ ان الشاعر في قصيدته هذه بلغ ما لم يبلغه الرصافي فسي
"غادة الانتداب" وبحر العلوم في "الانسة" ، فقد اجاد فيها من
الناحية الفنية ، حين استطاع ان ينتزع ما يجول في خاطرها من
افكار :

انا اسكنتك العراق فرفقا	بي يا بنت مدعى الوطنية
فاجابت عن ابتسامه ثغر	فاخذت الرسالة البرقية
غرّم لامع السراب فجثتم	تطلبون الردى بغير روية
نحن قوم نرق قولاً ويقسو	فعلنا والخداع منا سجية
ندعي رأفة ونذكر عد لا	وسلاما ورحمة بشرية
كلمات بلا حقائق تجسرى	مثل خصرى بصورة وهمية

(١) كتاب العروبة مع الناس للحومانى ص ٢١ - ٢٢

ولم يخل الشعر العامي من مثل هذه الاساليب ، التي تنطوى على السخرية والتندر ، ولعلنا نجد في قصيدتي "الواوى والديك او على مرشح السياسة" (١) و "الذئب والكلب" (٢) صوراً للعلاقة بين القوى والضعيف ، الخب والمغفل ، ولئن القى الحديث على السنسة الحيوان ، فلان الشاعر يرى ان الرمز آمن عاقبة ، وان التلميح خير من التصريح ، ولعله اراد ان يسير على طريقة ابن العلاف يوم نظم داليتة الرائعة في رثاء هـ ر ، ولكنه كان يعنى غيره .

ومعظم الشعر الذى نقروءه في التنديد بالنفوذ الاجني والمعاهدات ، لم يكن الا صدى للمعارضة والرأى العام ، وها نحن نقتطف شيئاً من اقوال المعارضين وكذلك المؤيدين للمعاهدة التي وقعت سنة ١٩٣٠ ، يقول ياسين الهاشمي عنها :

"انها صاغت لنا الاستقلال من مواد الاختلال " ويقول حكمت سليمان " انها تضمنت الاحتلال الابدى " (٤) اما السيد نوري السعيد الذى ابرم المعاهدة فيدافع عنها قائلاً انها " تعادل على وجه العموم المعاهدة التي وافق عليها النحاس والوفد المصرى " .

وحين ابرمت معاهدة سنة ١٩٢٢ ، كتبت مستبشرة جريدة لواء الاستقلال تحت عنوان " نظرة في المعاهدة الجديدة " (٥) فقالت :

" ولا شك ان الشعب الكريم سيقابل بكل ارتياح ، خلوها - اى المعاهدة - من كثير من الالفاظ المشبوهة كاستشارة والمساعدة والاستدلال والمشورة والخطط الملائمة وغيرها من الالفاظ والعبارات التي كثيرا ما

(١) ديوان الكرخى ص ٣٠

(٢) ديوان الكرخى ص ٢٦

(٣) ~~الاستقلال ٢٠ ك ١ سنة ١٩٢٧~~ ~~جريدة الزمان ٢٨٤ ك ١٩٢٧~~

(٤) جريدة الزمان ٢٨٥ / ١٩٣٠

(٥) ~~جريدة الزمان ٢٨٥ / ١٩٣٠~~ ~~جريدة الاستقلال ٢٠ ك ١٩٢٧~~

وجدناها وسائط مطاطة تتعرض لسيادة البلاد الوطنية والتدخل حتى في أبسط شئونها*.

وقد كان الجواهري من رحبوا بهذه المعاهدة ففي قصيدة عنوانها "من لندن الى بغداد" (١) نظمها بمناسبة رجوع جلالة الملك فيصل الاول من لندن الى عاصمة ملكه بغداد بعد الاشراف على المفاوضات التي سبقت معاهدة سنة ١٩٢٢ المشهورة ، يستهل القصيدة بقوله :
حياك ربي من ساع بسرا
يلقى الوفود بوجه منه وضاء
واذا كانت البشرية بأبرام هذه المعاهدة ، قد احيت كثيرا من الامل ، فلانها ضمنت للعراق منطقة الموصل التي كانت تطالب بها تركيا ، وهذه المنطقة من اهم اجزاء العراق ، واقتطاعها يؤدى الى اضرار جسيمة تلحق بالوطن .

وفي قصيدة عنوانها "في الطيارة او على ابواب المفاوضات" (٢) للشاعر نفسه ترحيب بتلك المعاهدة وتحية للملك الذي اشرف عليها :
مدح الملوك الشاعرون وانما افرغت قلبي للمليك مدائحا
في ظل مولاى الكريم ولطفه ابدا اجيد خواطرا وسوانحا
وللشاعر نفسه قصيدة عنوانها "الزعيم" موجهة الى السيد نوري السعيد ، الذى لعب دورا مهما في الحياة السياسية للعراق ، والذى كان يشترك في عقد كثير من المعاهدات بين العراق وبريطانيا ، ومن هذه القصيدة :

(١) ديوان الجواهري (ط ١) ص ٧٣

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦

عليك سلام ايها البطل الفرد تطالعك البشرى ويخدمك السعد
زعيم رأيت فيك الزعامة قادرا عليها وجنديا يقدرك الجنود
حلفت لقد ابديت جهدا وقدرة هما كل ما يستطيعه العقل والجهد (١)
ومن قصيدة اخرى موجهة الى الرجل نفسه :

كل يوم تسمو بعجد جديد وفخار ماله من مزيد
وقد اقترنت الروح الوطنية بالدعوة الى نبذ المعاهدات او التخلص منها
بطريق القوة والعنف ، وما عليك الا ان تقرأ القصائد التالية لترى اقتران
هاتين الدعوتين بكل جلاء ووضوح :

"حيي عراقي دين" (٢) و "بلادى وقومي" (٣) و "حتى الابد" (٤)
لعدنان الراوى و "احتجاج الوجدان" (٥) للجواهري و "الغاية القصوى" (٦)
لاي طبيع و "راعيات" (٧) لكامل عثمان و "تحية العراق وطني" (٨) لمحمد
جمال الهاشمي و "بلادى" (٩) لعبد الغنى الخليلي وامثالها كثر .
وكلما مرّت الايام اشتدت الدعوة الى التخلص من التأثير الاجنبي

-
- (١) ديوان الجواهري (ط ٢) ص ٢٥٩
(٢) الحرية ١٩٢٥ / ٤
(٣) الهاتف ١٩٣٨ / ١١١
(٤) من الشعر القومي ص ٣٥
(٥) ديوان الجواهري (الطبعة الاولى) ٢٢٨
(٦) الهاتف ١٩٤١ / ٢٥٦
(٧) صوت العراق ١٩٥١ / ٤٣
(٨) الهاتف ١٩٣٩ / ١٥٠
(٩) الهاتف ١٩٤٠ / ٢٣٩

وتعزيق المعاهدات ، وذلك لن يكون بالرجاء ، انما
يؤخذ الحق عنوة وبالقوة ، ولنستمع الى قصيدة عنوانها " من
الاعماق " (١) للشاعر عبد القادر رشيد الناصري ينحو فيها هذا
المنحنى :

ايهذا الاسير في قبضة الذل الام الخضوع للاعداء
ان صوت الحياة يصرخ في اذنيك فانهض من رقدة الاعياء
وانتفض كالفسور ملئت من الارض وناقت الى الذرى السماء
انت في عصر قوة فاطلب الحق بسفك الدماء لا بالرجاء (١)

ونستطيع ان نلتزم في شعر الجواهري وصالح بحر العلوم وعدنان
الراوى صورا رائعة من هذا الشعر الذى يدعو الى الثورة ،
وتحطيم الاغلال ، لنيل الحرية والاستقلال .

وفي قصيدة باللغة العامية عنوانها " الصقر والغراب " (٢)
للشاعر السبعى عبود الكرخى يدير فيها حوارا بين الاول والثاني ،
يختلق القوى فيه مختلف الاسباب للفتك بالضعيف ، والقصة منترعة
من " كليله ودمنة " التي تعد اعظم ما خلدته تاريخ الادب السياسى
في العراق ، ولئن تناولت قصص الكتاب طغيان الحاكمين ، ففي
حدود ممالكهم ، فان الموضوعات الحديثة في الادب العراقي ،
تناولت الى جانب ذلك ، طغيان الدول ، وعدوان القوى على
الضعيف منها ، واستغلاله اقتصادياته وموارده ، فالنفوذ الاجنبى
اصبح يستهدف المنافع الاقتصادية .

وتثور نائرة الشاعر ناجي القشطينى ، حين يشهد مصرع

(١) القلم الجديد ١٩٥٢/٣

(٢) جريدة الاستقلال ١٩٢٠/١٦

"السعدون" ، وقد اشرنا الى هذا الحادث الذي كان وليد
التناقض مع رغائب الانجليز ومطالب الوطنيين حول المعاهدة آنذاك
تشور ثائرة الشاعر على الانجليز ، فينغى عليهم وعودهم التي لم
تكن الا تبايا ، وانهم يحولون بين البلاد وبين الوصول الى
غاياتها ثم ينتقل الى التهديد حين ينطلق الرصاص وتسفك الدماء :

هيا من كان وعدهم وعيدا	ولم نر منهم الا تبايا
لماذا لم يوافق مرشدوكم	اذا رما بغايتنا اقتربا
انسفك في تطلبها دماء	ونهلك في تناولها طلابا
وما كدم الشهيد ابي علسي	يطل دم على الارض احتسابا
ناول قطرة ستكون بحرا	واول صعدة ستكون غابا
واول طلقة ستهز ارضا	وتجعل كل عامرها خرابا (١)

ونلتصم الثورة على الاوضاع القائمة والتدخل الاجنبي في شعر محمد
صالح بحر العلوم ، ففي قصيدة "احرقني كل ظلوم غاشم" يخاطب
الشاعر فتاة قروية ويدعوها ان تجمع حطبا يحرق به الظالمين
ومعظم قصائد هذا الشاعر تنطوي على الوعيد والتهديد والدعوة
الى الثورة على النفوذ الاجنبي وعلى الذين يمالئون هذا النفوذ ،
ويبرمون المعاهدات بين الطرفين ، ومن احدى قصائده قوله :

يا قلما خط بحبر الدما	خارطة الحكم لهذا الدمى
ان رمد الراسم في اسمه	فليتنق اليوم رماد العمى (٢)

(١) من قصيدة بعثها الي الشاعر ، وانظر بعض ابياتها في كتاب بين

النهزين للحوماني ص ٣٤٩

(٢) ديوان العواطف ص ١٤٦

(٣) من قصيدة "قتل الشعور" لصالح بحر العلوم . ديوان العواطف

ومثل هذه المعاني نلتصها في قصيدة "حديقة النضائح" (١) لمصطفى جواد و "اصنام" (٢) للحيدري و "عقاييل داء" للجواهري (٣) ، وما يلاحظ في الشعر العراقي الحديث ، ان تلك الحملات العنيفة ضد الحكم الاجنبي ، لم تتغير على مرور الايام ، بل كانت تزداد شدة على ذلك النفوذ حيناً ، وعلى الفئة الحاكمة حيناً آخر ، لانها تمالىء الاجنبي ، وكانت ذكريات الثورة العراقية ومواقف الوطنيين من امثال "السعدون" تملأ النفوس وتهبب بها لازاحة الكابوس الاجنبي ، ولو ادى ذلك الى سفك الدماء :

وليس غير الدم من منقذ يبتعث المقبور من رسمه
وماتى السعدون عن خبرة يغنيك عن قولي وعن درسه (٤)

ويتجه الجواهري في وعيده نحو هذه الفئة ، ويطلب اليها ان تتخلى عن مواكبة الاجنبي الذي يسبغ عليها عطفه ورعايته ، وينذر لها بيوم تسقط فيه معفرة الوجه في التراب ، مشردة عن الارض التي تقيم فيها :

قولوا لهم خلّوا (السفير) واسفروا ودعوا حراب الاجنبي واصحروا
وستعلمون من المجلي في غد ومن المكب بوجهه المتعفر
ومن المقيم على تراث بلاد ومن المشرذ تائها يتعثر (٥)

(١) مجلة ابولو ، مايو سنة ١٩٣٤

(٢) ديوان الوان شتى ص ١٠٢

(٣) ديوان الجواهري (ط ٢) ص ٥٧

(٤) للاتري ، جريدة البلاد ١٩٢٩/٤٣

(٥) ديوان الجواهري ٢٢/٣

وبمقدار الحماسة التي اثرت في نفوس الناس ، من جراء تلك المعاهدات المتسلسلة ، انعكست في الادب السياسي ، لا سيما الشعر منه ، ذلك ان الرأي العام في العراق ، كان يتابع باهتمام تطورات الموقف ، والاحداث التي اخذت تستقبلها البلاد ، فقد رأينا كيف ان بعض الصحف اتخذت مواقف ايجابية ، حيال المعاهدات ، ورأت فيها خطوات واضحة نحو الاستقلال والتقدم ، وكيف ان المعارضة تؤيدها صحف اخرى راحت تندد بتلك المعاهدات وترى فيها قيودا للبلاد ، وتمكينا للنفوذ الاجنبي ان يثبت اقدامه فيها ، وكذلك وقف الشعراء حيالها بين مؤيد ومعارض ، ولكن القوائد التي قيلت في معارضتها والتنديد بها كانت اكثر عددا ، وكانت تلقى من الاستحسان والقبول لدى الرأي العام اكثر من تلك التي قيلت في تحبيذها وتأييدها ، فالشعب الذي اهتم بقيام الحكم الوطني ، سرعان ما اخذ ينظر بعين الريبة والحذر الى كثير من المشاريع التي تقوم بها الحكومة ، ومن هنا بدأت تتضارب وجهات النظر حول تلك المعاهدات .

واذا كانت الاحلاف قد وجدت في الحياة العربية من قبل ، وهي تشبه المعاهدات القائمة اليوم من بعض الوجوه ، فانها تختلف عنها من وجوه اخرى لا محل لتفصيلها والانفاضة فيها ، وكل ما نستطيع ان نقوله ، ان المعاهدات في العصر الحاضر ، اما ان تكون بين الند والند ، او ان تكون بين القوى والضعيف ، وقد نظر الشرقيون بصورة عامة الى المعاهدات التي تعقدها اممهم مع الدول الغربية على انها من النوع الثاني ، ولعل مصر في مقدمة البلدان العربية ، التي بدأت فيها المعاهدات في وقت مبكر ، والتي وقف شعبها ورجال الفكر فيها موقفا مناوئا ازاء تلك

المعاهدات ، وقد تسرّب هذا التيار الى سائر البلدان العربية ، ومنها العراق ، الذي هبّ شعراؤه منذ المراحل الاولى من الحكم الوطني ، يدبرون معانيهم حول الدولة الجديدة ، فيبثونها آمالهم وامانيهم الوطنية ، ويهيّبون بها ان تأخذ مكانتها تحت الشمس ، وان تنبذ المعاهدات التي تقلدها ، على رأى المعارضة وفريق من الشعراء والكتاب ، فظهر لون جديد من الادب لم يألفه الناس في العصور السابقة من الادب العربي .

٤ - النفوذ الاجنبي

ان قيام الثورات ضد الحكم الاجنبي ، في كثير من الممالك ، لم يكن وليد ذلك النفوذ بمقدار ما هو وليد الوعي العام بين الشعوب التي تدافع عن حريتها ، وتسعى الى نيل استقلالها ، وهذا الوعي ان كان قد استيقظ في اوربا ، فانه سرعان ما سرى نسي مشارق الارض ومغاربها ، نهبت الشعوب تحدّد موقفها ازاء حكوماتها وازاء الغاصبين ، وهبّ الادباء والمفكرون ببعثون الوعي في تلك الشعوب .

ومنذ نهاية العصر العباسي ، حتى عصرنا الحاضر ، خضع العراق لامم متعددة واستمر على هذه الحالة نحو من بضعة قرون كما ذكرنا ، ولكننا لم نسمع طوال تلك الفترة شيئا من الشعر منبعثا عن شعور بالظلم ، بالرغم من كثرة المظالم التي انصبّت على الناس ، ولم نسمع من الشعر ما ينطوى الى الدعوة الى مقارعة

الاجنبي ، وتحرير الوطن من قبضته ، بل اتجه الشعر معظمه نحو المديح والرثاء والوصف ، وغيرها من الاغراض القديمة ، ولكننا نسمع في هذه الفترة انات عميقة تطويها الايام ، في شكوى الزمان ، وفساد المقاييس ، وئذ الحياة ، واغلب الظن انها شكوى من سوء الاوضاع السياسية ، انبعثت بهذا الاسلوب لانه آمن عاتبة ، واسلم مغيبة .

وفي مطلع القرن العشرين ، يوم وقفت مصر تقارع الاستعمار البريطاني ، لا بسيونها فحسب بل بتلك القوائد الحماسية التي ارسلها محمود سامي البارودي واسماعيل صبري ثم حافظ وشوقي وعدد اخر من الشعراء بعد ذلك ، وحين سار الشعراء في سوريا ولبنان على هذا المنوال ، مدفوعين بالعاطفة الوطنية ، وكان في مقدمتهم ولى الدين يكن واليا زجبان وغيرهم ، ولما انبثق الوعي الوطني لدى الشعب التركي في العصر العثماني فانتفض انتفاضه المشهورة ، كان لذلك كله آثار تسربت الى العراق . وظهرت في الشعراء اول ما ظهرت ، فقام الشعراء ينددون بالدولة العثمانية ، وحين تم لبريطانيا ان تبسط نفوذها على العراق ، اتجه الشعراء الى مقارعتها ، والاهابة بالشعب ان يتخلص من سلطانها ونفوذها .

وكان من اولى الصور الادبية التي رسمها الشعراء للنفوذ الاجنبي ، وقيام العراق للتخلص منه بثورته الدامية التي وقعت سنة ١٩٢٠ ، ملحمة شعرية عنوانها " ثورة العراق الكبرى " للشاعر عبد الحميد الرازي ، وقد استوحى احداثها من وقائع هذه الثورة ، ومما يؤخذ على هذه الرواية من الناحية الفنية ، ان المؤلف لم يستطع ان يربط بين الاحداث التي تدور حولها الرواية ،

حتى ان القارئ ليحس ان هناك فجوات يجب ان تملأ ، ولعل المؤلف اراد ان يتقيد بنصوص التاريخ على حساب الناحية الفنية فـ في الرواية ، وبالرغم من ذلك كله فان هذه الرواية لم تفقد جدتها ، وما زالت تثير الوانا من المشاعر والاحاسيس في نفوس العراقيين لانها تذكرهم باول ضربة سجلوها ضد الغرب في التاريخ الحديث ، وكانت بداية الكفاح للخلاص من ذلك النفوذ الاجنبي .

وكان الزهاوى من اكثر الشعراء اعتدالا في نقده للنفوذ الاجنبي وهو حين يتجه الى مقارعة ذلك النفوذ في شعره ، يتخذ منه وسيلة لاستثارة الهم وتقوية العزائم في اقامة ركن المملكة ، والسير بها نحو الامام ، وما علينا الا ان نقرأ ديوانيه "الاشمال" و"الشمالة" ففيهما يستعرض كثيرا من الاحداث السياسية ، ولكنه لا يقف منها موقف زميله الرصافي ، الذي ينطوى على الشدة والعنف ، بل يقف حيالها بهدوء ورصانة ، وهو اكثر ميلا الى استخراج الخواطر التي تملأ نفسه ، منه الى القاء الحقائق القاء ، وكان اعتداله في موقفه من الانجليز ، والقصيدة التي القاها في الترحيب بالمعتمد السامي والتي عنوانها "عد للعراق" (١) قد جعلت الناس يسيئون الظن به ، ويرمون بمختلف التهم ، لا سيما وقد سبق له ان مدح الانجليز في العهد العثماني ، بقصيدة عنوانها "ولاء الانجليز" (٢) ولعل كره الرجل للاستبداد العثماني هو الذي دفعه الى ان يحذ

(١) ديوان الزهاوى ص ٢٤٠

(٢) الكلم المنظوم ص ١٤ - ٣١٦

للناس حكم الانجليز ، فما كان يخطر بباله " ان حربا عالمية ستقوم ،
وان الانجليز سيضعون العراق تحت نفوذهم " (١) كما يقول عن
نفسه .

وكان الرصافي خلال هذه الفترة اكثر عنفا واشد تطرفا
في نقده للاوضاع السياسية ، ولستمع اليه وهو يلقي قصيدة نسي
تحية الزائر الامريكي المستر " كراين " اذ ينتقل من الترحيب الى
التنديد بالحكومة واتهامها بالخضوع للنفوذ الاجنبي ، وهذه ابيات
من تلك القصيدة التي عنوانها " يا محب الشرق " (٢) :

واذا تسأل عَمَّا	هو في بغداد كائن
فهو حكم مشرقِيّ	الضلع غربيّ الملاين
وطني الاسم لكن	انجليزى الشناشن
عربي اعجميّ	معرب اللهجة راطن
فيه للايعاز من	لندن بالامر مكامن
هو ذو وجهين	وجه ظاهر يتبع باطن
قد ملكنا كل شيء	نحن في الظاهر لكن
نحن في الباطن لا	نملك تحريكا لساكن

ولا تسل عن وقع مثل هذه التعابير في نفوس العراقيين ، الذين
راحوا يعتقدون ان كل صغيرة وكبيرة ~~تدبرها~~ بريطانيا ضد
العراق ، لتثبيت اقدامها ، والمحافظة على مصالحها ونفوذها .

(١) رسائل الزهاوى : الكاتب المصري ، مجلد ٤ عدد ١٥ سنة

١٩٤٦

(٢) ديوان الرصافي ٤٣٨

ومن الوان هذا التدخل تشكيل الوزارات وسقوطها
تحت مؤثرات خارجية ، فهي على زعم الشاعر ، تقوم على مشيئة
الانجليز ، ولا ينالها الا من كان محبا لهم ، مخلصا نحوهم :

ان الوزارة لا ابالك عندنا ثوب يفصل في معامل لندنا
لا يرتديه سوى امرئ اضحى له طبعاً وداد الانجليز وديدا (١)

ولا يكتفى الشاعر بهذا ، بل ينتقل في قصيدته الاخرى "الوزارة
المذنبه" (٢) من الاجمال الى التفصيل ، يتحول من السخرية والتهكم ،
الى الثورة والحقد ، ويدبر القول فيها على معاني اقرب الى
المفهوم الشعبي ، وقد جعلها على صورة حوار يوجه الى الحاكمين
حيناً والمحكومين حيناً اخر ، وهي في روحها تشبه ذلك الهجاء
الذي ينطوى على السخرية في الشعر العربي القديم ، ولكن الشاعر
يلبسها معاني من المفاهيم السياسية الحاضرة :

دار ذا الدهر مداره فرأى الناس ازواره

ان ديك الدهر قد با ض ببغداد وزاره
شأنها شأن عجيب قصرت عنه العبارة

حببت للوطنى الحـــــر ان يهجر داره
بيع للاطماع فيـــــها حقكم يبيع الخساره
فكان الحكم والعـــــدل بها قـُـط وفاره

(١) ديوان الرصافي ٥٠١

(٢) ديوان الرصافي ٤٦٦

ثم يصف علاقة الوزير بالمستشار فيقول :

كم وزير هو كالوزير على ظهر الوزاره
مقحم لو كان لفظا شخصه كان استعاره
ووزير ملحق كالذي يـلـ في عجز الحماره
نائب اصبح للحكم به اقبح ناره

ادركوا الحق فقد	شفت على الحق الاغاره
لا تسلم عنه وزير	القوم واسأل مستشاره
فوزير القوم لا يعمل	من غير اشاره
وهو لا يملك امرا	غير كرسى الوزاره
ياخذ الراتب اما	بلغ الشهر سراره
ثم لا يعرف من بعد:	خراب ام عمساره (١)

والزهاوى في قصيدته "الغرب والشرق" (٢) يلقي نظرة اكثـر
شمولا من صاحبه الرصافي ، فلا يخص قطرا دون آخر ، ولا يتجه
الى دولة دون غيرها ، انما يرسم لنا ذلك الطغيان الذى يصبه
الغرب على الشرق ، فالاول مستلب يقظ ، والثاني مهضوم الحقوق
نائم عن امره ، والقصيدة قد نظمت بمناسبة وعد بلفور ومن الحديث
المعاد القول ان هذا الوعد كان ضربة للامة العربية بمجموعها ،

(١) ديوان الرصافي ٤٦٦

(٢) ديوان الاوشال ص ٤ ، وينحو هذا المنحى في قصائده "كان
ما لا يكون" و "لا تعيش الشعوب بالاحلام" في ديوان اللباب

ويلاحظ ان الزهاوى يمسك عواطفه ان تطفى في قصائده السياسية ، وقد اشرنا الى ذلك في مقدمة الفصل . وانك لتجد الثورة العارمة في قصيدة للرصافي عنوانها "حكومة الانتداب" (١) ويمهد لها بقوله انه حين يتكلم عن الحكومة والسياسة فانما يتكلم عن علم وخبرة ، ثم ينتقل الى وصف مظاهرها والحقيقة التي تنطوي عليها تلك المظاهر ، ولنستمع اليه ان يستهلها قائلاً :

ألام في تفجيدها واعنف ؟	انا بالحكومة والسياسة اعرف
من ان يقولوا شاعر متطرف	ساقول فيها ما اقول ولم اخف
كذب وكل صنيعها متكلف	هذي حكومتنا وكل سموخها
فجميع ما فيها بهارج زيت	غشت مظاهرها ومؤه وجهها
للاجنبي وظاهر متكشف	وجهان فيها باطن متستر
والظاهر المكشوف فيه تصلف	والباطن المستور فيه تحكم

ولسنا نعلم بالضبط السنة التي نظمت فيها تلك القصيدة ، واغلب الظن انها نظمت في فترة الانتداب ، التي كانت اخصب الفترات في حياة الشاعر ، وكان موقفه خلالها يتأرجح بين الشدة واللين ، وهو يسترسل في نقده للاوضاع القائمة ومدى التدخل الاجنبي في شئون البلاد ويصف العلم والدستور ومجلس الامة فيقول :

كل عن المعنى الصحيح محرف	علم ودستور ومجلس امة
اما معانيها فليست تعترف	اسماء ليس لنا سوى الفاظها
وفقا لك الانتداب مصنف	من يقرأ الدستور يعلم انه
في غير عز بنى البلاد يرفرف	من ينظر العلم المرفرف يلقه

(١) ديوان الرصافي ٤٦٣

من يأت مجلسنا يصدّق انه لمراد غير الناهبين مؤلف
من يأت مطرد الوزارة يلقيها بقيود اهل الاستشارة ترسف

ثم ينظر الشاعر الى جهاز الحكم ، ويصفه قائلاً :

انهكذا تبقى الحكومة عندنا كلما تمّوه للورى وتزخرف
كثرت * دوائرها * وقل فعالها كالطبل يكبر وهو خال اجوف

اما الضرائب فعلى اى وجه تصرف ؟

تجبنى ضرائبها الثقال وانما في غير منفعة الرعية تصرف

وما موقف الحكومة من ابناء الوطن والدخلاء ؟

حكمت مشددة علينا حكمها اما على الدخلاء فهي تخفف

ولا يريد الشاعر ان ينتهى الموضوع قبل ان يحدّد من هم الدخلاء ،
وقبل ان يرسم السبيل للتخلص منهم :

للانجليز مطامع بهلادكم لا تنتهي الا بأن تبلسفوا

ودعوتهم هذه اكثر وضوحا في قصيدة عنوانها " الى العمال " (١).

ويتفنن الشعراء في وصف الفئة الحاكمة ، وعلاقتها بالنفوذ الاجنبى ،
ولنستمع ما يقوله الجواهرى في ذلك :

واصنام بغى يصّبونها ويدعونها مثلاً يقتدى

يثيرون من حولها ضجة بها عن مخازيهم يلتمى

فهذا سيمضى وهذا مضى وهذا سيأتى وهذا أتى

(١) ديوان الرصافي ١٨٠

وهذا "زعيم" لان السفير يرنوا اليه بعين الرضا
وفي ذاك عن سخطاهل البلاد على حكمه اورضاهم غنى (١)

ومثل هذا النقد العنيف نجده في قصيدة "نهضة الشرق" (٢) و "غضبة
شاعر" (٣) فقد صور الحكم الوطنى بانه طلاء سرعان ما يتلاشى اذا
مرت عليه فترة من الزمن ، وها نحن نقتطف ابياتا من القصيدة الثانية
للشاعر محمود العلاح التي يعرض فيها هذه الصورة :

اكل ضحى نرى في الامر فتقا	وتطليه السياسة بالشحوم
فلا ياتي عليه الظمر حتى	تجلى الشحم عن حال وخيم
يقيم مكانه حتى غداة	ويظهر اخر غير المقيم
الى ان صار كالغربال حكم	مهرى السترمزوق الاديم

وفي قصيدة "الحرية في سياسة المستعمرين" (٤) يسلك الشاعر طريقة
اصحاب البلاغة في خروج الامر الى التهديد ، فيوجه نداء الى قومه
الا يتكلموا والا يستيقظوا من سباتهم العميق للحاق بموكب الحياة ،
وان يتركوا احاديث السياسة ، والا ينتظروا العدل ، واذا رأوا
الحقائق تموء ، فما عليهم الا ان يقرؤا بهذا التمويه ، ولا بأس
ان نورد ابياتا من تلك القصيدة :

(١) ديوان الجواهري ٢٤٣/٣

(٢) جريدة البلاد ١٩٢٩/٢٠

(٣) جريدة البلاد ١٩٢٩/١

(٤) ديوان الرضائي ص ٤٥٠

يا قوم لا تتكلموا ان الكلام محرم
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز الا النوم
وتثبتوا في جهلكم فالشعر ان تتعلموا

اما في قصيدته "غادة الانتداب" (١) فقد دار الحديث عن واحدة من النساء المبتدلات قد اثقلت بالحلى ولونت بالخضاب ثم ينتهي الى تشبيهها بالحكومة ، ويتابعه في وصفه هذا الشاعر محمد صالح بحر العلوم في قصيدته "الانسة" (٢) وقد سلك كل منهما الاسلوب القصصي . وكثيرا ما ينتهز الشعراء حفلات التكريم للتنديد بالحكومة وبخضوعها للسلطان الاجنبي ، ومن امثلة ذلك قول الرصاني في قصيدة يحيى بها الريحاني :

من ابن يرجي للعراق تقدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خبرني وطن يكون السيف عند جبانه والعال عند بخيله
والرأى عند طريده والعلم عند غريبه والحكم عند دخيله
وقد استبد قليله بكثيره ظلما وذل كثيره لقليله (٣)

وقد اطلق لفظ "الدخلاء" على الذين ليسوا من اهل البلاد والذين لا يحوضون على مصالحها ، فنعى الشعراء على الحكومة تسليمها الوظائف بايديهم ، واهمال ابناء البلاد ، وهذه الفكرة لعبت دورا عظيما في الحياة السياسية العربية منذ قيام الحكم الاسلامي حتى نهاية العصر العباسي ، ثم تجددت في عصرنا الحاضر ،

(١) ديوان الرصاني ص ٤٥١

(٢) مجلة الآف ١٩٤٧

(٣) ديوان الرصاني ٤٢٧

ولنستمع الى احد الشعراء في قصيدة عنوانها " بلية الدخلاء " (١) :

كيف النجاة وها الاذئاب قد دخلوا قطر العراق فان القلب مشتعل
لو كان نفعهم يرجى لما تركوا دارا لهم يقيها للغنى الدول
كم قد صرخنا الا يا قوم فارتحلوا كم قد كتبنا ولا ينتابهم خجل

ومثل هذا تقرؤه في قصيدة " نصيب ابناء الوطن من مناصب البلاد " (٢)
و " الدخلاء " (٣) وكلتا هما من الشعر العامي للشاعر عبود الكرخي ،
ونظام الاستشارة من مظاهر هذا النفوذ الاجنبي ، وقد وضع في
عهد اول وزارة وطنية وقبل ان تعقد اية معاهدة بين الطرفين
المتحالفين ، على ان منشورا اصدراه المندوب السامي سنة ١٩٢٠ قد
حدد فيه وظائف المستشارين ، ولكن هذا النظام كان موضع نقد
وهجوم ولنستمع الى بيتين من قصيدة " الاستشارة في نظر شاعر " (٤)
لمحمود الملاح :

ما لم تنل من مستشار حظوة من بعدها كل الامور تهون
لا تخش حينئذ حكومة حاكم ابدا فانت على الحياة امين

(١) جريدة الاستقلال ١٩٢٤/٤٤٦

(٢) ديوان الكرخي ص ٨٦

(٣) جريدة الكرخ ١٩٢٧/٤٧

(٤) جريدة الهلال ١٩٣٠/١٨١

اما الرصافي فتثيره ذكرى فقيد الوطن "عبد المحسن السعدون" (١)
الذى كان رئيسا للوزارة ثم انتحر لانه لم يستطع ان يوفق بين
رغبات الانجليز ومطالب الوطنيين ، فيرى الشاعر ان النفوذ الاجنبي
لم يكن سافرا ، انما هو كامن وراء "المشورة" يبعث الرعب والهلع ،
ويثير البغي والعدوان تحت ستار النصح :

يا اهل لندن ما ارضت سياستكم اهل العراق لا بدوا ولا حضرا
ان انتدابكم في قلب موطننا جرح نداءه لكن لم يزل غبرا
وللمشورة في اوطاننا شبح تخيف صورته الاشباح والصورا
يجول في طرقات البغي مختفيا للغش خلف ستار النصح مستترا^(٢)

ومن الابيات السائرة التي تجرى مجرى للامثال ، قول السيد باقر
الشبيبي ، من قصيدة له ، يتهم فيها من وزير اصبح العوبة بيد
المستشار ، فاذا اصيب الاخير بسكر ، انطلق الاول يعربد كانه هو
الذى احتسى الخمرة :

المستشار هو الذى شرب الطلا فعلام يا هذا الوزير تعربد ؟
احكومة . والاستشارة ربها وحكومة فيها المشاور يعبد (٣)

ويعيد الرصافي الكرة من جديد ، ويدير الكرة في اسلوب اخر ، يعمد
فيه الى تشبيه الوزير بالنورة التي لا تؤثر ، والمستشار بالزرنيخ
ذى المفعول القوي ، والشاعر يستمد تشبيهه هذا من الادب الشعبي ،

(١) اقرا وصيته في الوزرات العراقية للحسنى ٢٨٥/٢

(٢) ديوان الرصافي ٣٢٢

(٣) جريدة العالم العربي ١٤٨٥/١٩٣٠

ثم يفرغه في قالب فصيح :

الا بلغوا عنى الوزير مقالة له بينها لو يخجل توبخ
اراك بحتام الوزارة نسوة واما جناب المستشار فزرنينخ (١)

وتبلغ الثورة اوجها في شعر الجواهري ، الذى قلما تخلو
قصيدة من قصائده من تلك الثورة العارمة ، ان يحشد ما يستطيع
من تعابير السباب والشتم ، حتى ليخيل للقارئ انه يكاد يتفجر
غيظا ، وبعد ان يصف الفئة الحاكمة مختلف الاوصاف ينتهي الى القول
بانها "ماجورة" وهو يكرر هذا القول اكثر من مرة في قصائده :

وكيف يسمع صوت الحق في بلد للانك والزور فيه الف مزار
يايها السائح المجتاز اوديسة مشى الريح عليها مشى جبار
محض بعينى نزيه غير ذى غرض حال العراق وخلده باسفار
ان القصور التي شاهدت قائمة على اساس من الاحجاف منهار
انظر الى الكوخ قد بيعت دعائمه وحولوها لاقراط واسوار
وثلة من دعاة السوء ساقطة ليست بشوك اذا عدت ولا غار
ماجورة لم تقم يوما ولا تعدت الا على هتك اعراض واستار (٢)

وفي قصيدة للرصافي عنوانها "بين الانتداب والاستقلال" (٣) يتدد

(١) ديوان الرصافي ٥١٦

(٢) ديوان الجواهري ٣٠/١

(٣) ديوان الرصافي ص ٤٧١

الشاعر بمستشار وزارة الداخلية فيقول :

سل الانجليزى الذى لم يزل له بدست وزير الداخلية مقعد
أنت وزير ام عيد وزارة تراك اليها كل يوم تردد ؟

ولما كان النفط اهم الاهداف التي يتذرع الاجانب للوصول
اليه بمختلف الاساليب ، ولا نرى حاجة الى اعادة قصته من جديد ،
وكيف انه هو الذى وجه انظار الغربيين نحو الشرق منذ زمن مبكر
للولصول اليه ، ثم التنافس الذى قام حوله ، لما له من اهمية كبرى
في عالمي السياسة والاقتصاد ، فقد اطلال المؤلفون الحديث عن
كل هذا ، وعالجه الكتاب من وجهات نظر متعددة ، ففي قصيدة
للشاعر عدنان الراوى لفت فيها الانظار الى الحيف الذى يحبق
باهل البلاد ، لتسرب هذه الثروة دون الحصول الا على نزر يسير
منها ... انها دفقات الذهب للقائمين على استخراجها ، اما اصحابه
فانهم يعيشون على ارضهم كالعييد ، في فقر وذل :

لمن تلکم النار ذاك اللهب لمن تلکم (القنوات الحديد) ؟
نعدّ بها دفقات الذهب ونبقى على ارضنا كالعييد
ونشقى ونهتف نحن العرب ونحيا على صرخات القيود
نريد الفكك ونحسن السبب

ثم لا يلبث الشاعر ان يهتف بالدعوة الى الثورة على هذا الوضع ،
فالنفط حق مغتصب ولا بد من اعادة الحق الى ذويه ... انه يدعو
في ثورته الى ان يحيل ذلك السائل لهيبا ويفرغ ما في تلك
الانابيب حتى تصبح قشورا خاوية ، وحتى يتحوّل السؤال عن
(القنوات الحديد) الى اللهب المتصاعد ، والنار المتقدة ، والقنوات

القشور :

سنحرق نפט البلاد الغزير ونجعله (حقنا) المغتصب
ونجعله من دخان النفير غداة نصب عليه الغضب
ويبقى يسائل حين نشور لمن تلك النار؟ ذاك اللهب؟
لمن تلك الفتوات القشور (١)

وفي قصيدة اخرى عنوانها "عبث الجراد" للشاعر غريبى الحاج احمد ،
ينعى فيها على القائمين بالامر انهم "جادوا بالنفط" وهو يريد
بذلك انهم تساهلوا في المفاوضات وخضعوا لمشيئة الاجنبي ، عند
ابرامهم اتفاقية النفط :

قل للوزير المستبد برأيه ما لي اراك على الضلال عجولا
انسمت الا ان تجود بنفطنا حاشا لمثلك ان يكون كخيلا (٢)

ثم تأخذ الدهشة لهذه الاساليب العجيبة من الحكم فيختم القصيدة
قائلاً :

صور من الحكم الحديث عجيبة يا سحرها لو فصلت تفصيلا

وان الاحداث الكبرى التي انعكست في الشعر السياسي كانت لها
عوامل مختلفة ، ولكن الصراع بين النفوذ الاجنبي ، و ارادة التحرر ،

(١) من قصيدة "النفط الملهب" لعدنان الراوى : من الشعر

القومي

(٢) من مجموعة ارسلها الي الشاعر

كانت في الغالب تدور حول النفط ، لا سيما في ممالك الشرق الاوسط
”... واما السبب في هذا المركز الممتاز الذي يحتله الشرق الاوسط
من مواطن الاهتمام والعناية في السياسة الدولية فلن يعود الى
كونه بقعة استراتيجية فحسب ، او منطقة اختارتها السياسة العسكرية
للدول الكبرى في معسكرها الغربي والشرقي ، لخطتها الدفاعية
والهجومية عند قيام حرب فيما بينها ... ان الاهمية الصحيحة ،
هذه الاهمية التي اوجدت اعنف لون من ألوان الصراع بين
بريطانيا والولايات المتحدة من جهة وكانت السبب الفعال في شطر
العالم خلال الحرب الكونية الثانية الى غرب وشرق من جهة
ثانية ، انما يعود لكونه اضعف خزان من الخزانات العالمية للنفط
ومشتقاته “ (١)

وراح فريق من الشعراء يتهم الاجنبي بان استغل الثقافة
لتثبيت نفوذه وراح يشايعه فريق من ابناء البلاد ان يستخدم الثقافة
لاغراضه ، ويتخذها سلما للوصول الى مآربه الشخصية ، وهو حين
يتظاهر بها لتغطية ما في نفسه من نوايا ، وما يقوم به من اعمال
مريبة تثير على الشفاء ضروب الاسئلة ومنها : اخبر ام مخبر ينقل
اخبار الناس واسرارهم ؟

باسم الثقافة يدلف همنا وهنا مريب خطوه مستنكر
يتساءل الجمهور عنه : اخبر جاب الحياة مثقفا ام مخبر ؟

ثم ينتقل الشاعر الى وصف نفر آخر من المثقفين ، الذين يهدون

(١) جورج فرح : اسرار السياسة الدولية في الشرق الاوسط ص ٩٠

السبيل امام الاجنبي باسم الثقافة :

يستعمرون ، ويبنه يستعمر	ومثقف باسم "العلاقة" بينهم
في آتى ماء يوردون ويصدر	ارخى العنان وراح يورد نفسه
منه المياه التيسمية تقطس	"مختبر" يرمى البلاد بمنهج
مثل الجواد على الحواجز يطر	ومثقف صعد السلالم مقعدا
وشأى العباقر وهو اجوف يصفر	بز النظائر وهو احدث منهم
ما شاء من الوانه يتخير ^(١)	القي له الدستور ررحب خوانه

ولا حاجة بنا الى التعليق على ختام القصيدة ، ان يرى الشاعر ان سلوك فريق من المثقفين هذا الطريق يوصلهم الى المناصب قبل غيرهم ، ويفسخ امامهم مجالات ارحب من تلك التي امام الآخرين .

ويلاحظ ان هذه القصائد التي نظمت في التنديد بالنفوذ الاجنبي ، كان معظمها وليد الصراع من اجل حرية الوطن ، وبعضها وليد الاوضاع الاجتماعية المنظوية على البؤس والشقاء ، اما تعليـل هذه الحالة ، فان النفوذ الاجنبي يقف حائلا دون كل اصلاح اجتماعي ، تلك هي الفكرة التي سيطرت على العقول ، واوحت بهذا اللون من الشعر احيانا ، فقد خيل الى الناس ان ذلك التأثير الخارجي لم يكن سائرا ، انما يعمل من وراء ستار .

اما العناصر الفنية في كثير منها ، فانها تظهر في تلك التجارب الشعورية التي يحياها الشعراء ، وهم يشهدون امتهم عن كتب - في كفاحها الدامي ضد الغاصبين ، وانك ان تقرأ القصائد

(١) ديوان الجواهرى ، من قصيدة "الى الشعب المصرى" ٢/٣

التي نظمت في رثاء السعدون ، وفي ذكريات الثورتين العربية والعراقية ، وفي المناسبات التي طغى فيها النفوذ الاجنبي ، تحس بما تمتلئ به من عواطف جياشة ، والام متدفقة وحقد على الغاصبين .

اما بنیان القصيدة فانه لم يطرأ عليه تغيير في هذه الفترة ، فالاساليب والاوزان والبحور التي جرى عليها الاقدمون ، كانت رائد المحدثين منهم ، وان كان ثمة جديد في هذا الشعر ، فهو الموضوعات التي لم يألفها الادب العربي من قبل ، والمعاني والافكار ، التي استمد كثير منها من المبادئ السياسية الحديثة ، ومن المفاهيم القومية التي سادت بعد اندلاع الثورة الفرنسية في اوربا وانتشار آثارها الى الشرق كما اشرنا .

وان الظروف التي لا بدت نظم هذه القصائد ، كان لها اثر كبير في رواجها ، وما يدرك لعل زوال النفوذ الاجنبي في حياة الشرق الاوسط ، ونيل الاستقلال التام الذي لا تقيده المعاهدات والاحلاف ، وانطلاق الحكومات تستوحى مصالح شعوبها ، وتعمل لخدمة بلادها ، لعل ذلك كله يجعل الشعراء يجوبون في ميادين اخرى من الشعر ، غير مقارعة النفوذ الاجنبي ، الذي لن تعود ثمة حاجة الى مقارعة والتخلص منه .

الفصل الثاني

بداية الاستقلال

١٩٣٢ - ١٩٣٩

١ - العراق وعصبة الأمم

اشرنا في الفصل السابق الى سلسلة من المعاهدات بين العراق وبريطانيا ، نصت الاخيرة منها على الاستقلال التام وتمهدت امام العراق الطريق ليصبح عضوا في عصبة الأمم ، بصورة رسمية ، فتم هذا الامر باعتراف جميع الاعضاء البالغ عددهم اثنين وخمسين ، وبذلك زال اول انتداب من انتدابات ثلاث فرضتها معاهدة سان ريمو . وقد قبلت اللجنة المختصة العراق بناء على المعلومات التي توافرت لديها ، من انه قد اصبح ذا حكومة مستقرة وادارة قادرة على تسير شئون الحكومة الجهورية وان في استطاعته المحافظة على الامن العام في القطر كله ولديه مصادر مالية كافية لسد حاجة الحكومة الاعتيادية بصورة منظمة ، وله قوانين ونظام قضائي فيها ما يضمن العدل المطرد للجميع على السواء .

ويرى فريق من المؤرخين ان العراق قطع شوطا لا يستهان به في هذه المرحلة ، فقد سويت قضية الموصل ، تلك الولاية التي كانت مهددة بالانفصال والالتحاق بتركيا ، التي الحت في المطالبة بها ، وهدأت ثورات العشائر التي كانت مستعرة

الاور بين حين واخر ، وتقدم الجيش بتدريبه وعدده اذ اصبح قادرا ان يرد غارات المغيرين ، وحلت مشكلة الاراضي وتمت تسوية الديون العامة التي كان العراق ينوء تحتها ، كما حلت مشاكل العراق مع جيرانه . (١)

ولكن المعارضة يشايعها عدد من الكتاب والشعراء ، لم تر في هذه الفترة من الحكم الوطني ما يحمل على التفاؤل والاستبشار في المستقبل ، ولنستمع في ذلك الى احد كبار الكتاب وهو السيد فهمي المدرس ، اذ كتب في مقال له عنوانه : "الحكومة الوطنية والعقد الاول من حياتها" (٢) ما نصه : " . . . مضى على تأسيس الحكومة الوطنية عشر سنوات وليست السنوات العشر بالزمن القصير . . . واذا ما تصفحنا تاريخ هذا العقد الثمين لم نجد ما تسجل بين دفتيه سوى امور اقل ما يقال عنها انها مدعاة للاسراف في الوقت وفي المال ، ومجلبة للذلة والمسكنة وامانة الشعور وسلب الارادة الذاتية وجزء الاختيار ، ومن وراء ذلك براعة التمثيل بالشعب والتشهير به ، وتصويره بصورة الطفل الصغير المقعد الناقص الخلق ، العاجز عن التمييز بين الخير والشر " .

والكاتب حين يلتفت الى ذلك الماضي ، لا يرى فيه غير الخيبة والخسران ، فاذا مدّ ببصره نحو المستقبل ، لا يرى فيه الا

(١) Longrigg: 176

(٢) جريدة الاستقلال ١٣ حزيران / ١٩٣٠

امتدادا للماضي ، وصورة له ، وان اختلف ظاهرها فان الحقيقة واحدة في كلتا الحالين ، وقد صور الجواهري هذا الوضع في قصيدة عنوانها "عقابيل دا" (١) وقال عنها انها "نظمت سنة ١٩٣٤ وكانت الحالة السياسية على اشد ما تكون توترا واضطرابا " وانك تلمع الثورة التي تمتلئ بها القصيدة حين تقرأ اول بيت منها ، ان يفاجئك بقوله :

عقابيل دا ما لمن مطيب ووضع تخشاه الخنا والتذذب

ثم ينتقل الى النظم القائمة والقوانين التي استخدمت في ابدى فئة من الناس ، وكيف ان الذين يخونون ويكذبون قد نالوا امانهم :

ومملكة شأن المشيئات امرها وانظمة يلهمى بهن ويلعب
وناهيك من وضع يعيش بظلمه كما يتمنى من يخون ويكذب

ثم يأخذ العجب من الشباب السادر ، الذي لا يتحفز للثورة على الظلم والشيوخ الذين لا يوجهون الشباب :

اقر على الضيم الشباب فلم يثر واخلد لويسدى النصيحة اشيب
كان لم يكن في الرافدين مغامر وحتى كان لم يبق فيه مجرب

والشاعر يطيل وقوفه ، وكأنه يريد ان لا يترك الحديث دون ان يرى ثورة تطيح بالاشلاء ، ثم يعود فيعرض صوراً مثيرة من البذخ والنعيم الى جانب الفقر والشقاء ، الى ان يقول :

(١) ديوان الجواهري ١ / ٤٥

ينفذ ما تبغى وتنهى "عقائل" وتعزل فينا "غانيات" وتنهب
كأنه لسر لما تدهور ملكها تَكَنَّ جزافا عندنا وملقب

والشاعر محمود الملاح ينظر الى الاوضاع ، تلك النظرة نفسها فيقول :

لقد . بان عهد الهزل واقترب الجدد وما مفلح قوم سياستهم نسر
تملج جسم الشرق بعد هجوعه حليف قماط ملّ صبعته المهد

ثم يلتفت الشاعر الى السنوات العشر التي قضاها في العراق ^{في} ظل
الانتداب ، الذي كان السبب في تأخره عن اللحاق بموكب الحياة ،
فبينما قطعت ام كثيرة اشواطا واسعة في مجال الرقي والتقدم
اخذ العراق بالتقهقر ، واضاع وقته وجهده في الجدل الذي لا
طائل تحته :

سوى ان اقليم العراق مذبذب الى الخلف من دون الاقاليم يرتد
بذمة هذا الدهر عشر تصرمت اضاع بها اوقاتنا الاخذ والسرد (١)

ومن الناحية الاخرى ، كان الامل يلوح احيانا ، في مستقبل
زاهر ينتظر البلاد ، بعد ان ازيح عنها كابوس الانتداب ، فقد تحولت
من حالة الى اخرى حين نالت الاستقلال ، فهي تستطيع ان تخطو خطوات
سريعة نحو التقدم والمجد . وهنا لا بد لنا ان نعيد القول
من ان وجود الملك فيصل الاول هو الذي كان يوحى بالتفاؤل ،
فان المساعي التي كان يبذلها ، كانت تبشر بنتائج هي في خير البلاد ،
وكما ظهرت آثار جهوده في الاصلاح الداخلي ، كذلك ظهرت آثارها

(١) من قصيدة لمحمود الملاح عنوانها "نهضة الشرق وحظ العراق

منها " نشرت في جريدة البلاد في ٢٨ آذار سنة ١٩٣٠ .

في الحقل الخارجي . وللشاعر مهدى الجواهري قصيدة عنوانها
"غاب الاسود ، جنيف" (١) يشير فيها الى ما بذله من الجهود في
سبيل تحقيق امانى الوطن ، وضمان استقلاله كما نصت عليه المعاهدة :
ويستهلها بقوله :

لقيت عقبى الجهد والاعتاب ونزلت خير محلة وجناب
ورحلت خير مودع عن موطن حاميت عنه وابت خير ايباب

ثم ينظر الشاعر الى ما مضى من ايام الوطن ، ويرى انه قد وصل
الى مرحلة الخراب فقد وقف متعبا ينوء بما يحمله من اوجاع
واعباء ثقال ، حتى تداركه الملك ولكنه يريد ان ينال الوطن
اكثر من هذا :

لم تبق لولا فرط عزمك ريبة ان العراق يسير نحو تباب
حتى وقفت به يمد لهاته تعبنا من الانتقال والاصاب
لا ادعى ان قد اتم نموه من كان امر بشكل طفل حاب
فلذلك ليست بالبعيد منالها عن كل شعب طامح وثاب
لكن اقول اريته مستقبلا لا بالقديم سنا ولا بالخلاب

والشاعر يريد ان يسلك طريقا وسطا ، فهو لا يشجب السياسة
السلبية ويرى انها لو اثمرت لكنت خيرا من التفاهم والسياسة
الاجابية :

اليوم يوم تفاهم بالرغم من انى احب تطاحن الاحزاب
وسياسة سلبية لو اثمرت فيها نجاح رغائب وطلاب

(١) انظر ديوان الجواهري (طبعة ١٩٣٥) ص ١٠٦

وخيانة الا يقدر مخلص
لكن اذا لم تبق الا ميتة
تدعو سياسته الى الاضراب
او اختها نسياسه الايجاب

وتلمس حيرة الشاعر واضطرابه وقلقه حين تقرأ له القطعة الاخيرة
فهو لا يدري ايها افضل اهي طريقة التفاهم ، ام نيل الحق
بالقوة .

وللشاعر نفسه قصيدة عنوانها " بشرى جنيف " (١) وهي
موجهة الى الملك فيصل الاول بمناسبة قبول العراق في عصبة
الام :

مرحبا بالمتوج الخطريف
ناهضا بالثقل من عبء هذا
حاملا للعراق بشرى جنيف
الوطن النكد عابثا بالخفيف

ذلك ان الملك فيصلا كان يشرف على المفاوضات آنذاك ، وقد اظهر
من الذكاء والحكمة ما اثار اعجاب الآخرين :

بهر الساسة الدهاة حصيف
لامع في صفوفهم تقع العين
ذائع الصيت بين كل حصيف
عليه من دون من في الصفوف
لمسوا منه في التصافع كفا
لم يروا مثل وقعها في الكفوف

ثم يستأنف وصفه للمدح بانه لا تشغله المشاغل عن شئون بلده وتدير
السياسة فيه ، وانه يتصف بالبرقة واللين :

متعب الذهن بالسياسة لا
يترك العنف ما استطاع قدير
ينسبه اثقالها جمال المصيف
ان يروض النفوس بالتلطيف

(١) ديوان الجواهري (الطبعة الثانية) ص ٢٢٥

وهكذا كانت تلك المعاهدات من ملهات الشعر لدى بعض الشعراء .
وفي هذه الفترة توفي الملك فيصل الاول في سكة قلبية
فاجأته وهو في (برن) عاصمة سويسرا ، وكان لتعبه اثر واضح
في الشعر ، فقد كان فيصل يرضى الشعراء ، ويشجعهم ، كما كان
يفعل الخلفاء من قبل ، هذا بالإضافة الى انه كان لا يضيق ذرعاً
بالنقد فطالما وقف الشعراء ينددون بالحكومة ويعرضون به ، فلا
ينالهم اذى ولا يمسهم ما يكرهون .

وقد تركت وفاة العاهل صدى عظيماً لا في الشعر
العراقي فحسب ، بل في الشعر العربي كله ، ذلك ان العرب
كانوا يعلقون عليه آمالاً جساماً في بناء الكيان العربي ، وبعثه من
جديد ، لذلك كانت حفلات التأبين التي اقيمت له مهرجانات رائعة ،
تبارى فيها الشعراء ، من مختلف اقطار العالم العربي ، في اظهار
شعورهم بالكارثة ، ومن الصعوبة الاحاطة بكل الفوائد التي
نظمت في رثاء الملك الراحل ، وقد اشار الاستاذ انيس المقدسي
في كتابه الاتجاهات الادبية^(١) الى بعضها ، اما شعراء العراق
فان الرصافي قد ألف قصيدة عنوانها " في يوم ابى غازى " ^(٢) فيها
وداع للملك الراحل وترحيب بالعاهل الجديد ، ونظم الزهاوى
" مات فيصل فليعش غازى " ^(٣) و " في موقف التأبين " ^(٤) و " الفجيعة " ^(٥)

(١) ج ١ ص ١٤٩

(٢) ديوان الرصافي ٣٣٦

(٣) انظر ديوان الزهاوى الموشال ٢١٨

(٤) و (٥) ديوان الزهاوى الموشال ٢٢٠ ، ٢٢٢

وهناك مجموعة من المراثي لشعراء سوريين عنوانها " فيصل ملك العرب " . (١)

٢ - أزمة الحكم

في يوم الخميس الموافق ٢١ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ ، القيت على بغداد عدد من القنابل ، بطائرات عراقية ، كما وزعت منشائر ، موقعة بتوقيع القائد بكر صدقي ، طلب فيها اقالة الوزارة القائمة آنذاك والتي كان يرأسها السيد ياسين الهاشمي ، واقامة وزارة اخرى غيرها برئاسة السيد حكمت سليمان ، وقد تمّ هذا الامر بعد ثلاث او اربع ساعات من هذا الطلب ، اذ استقالت الوزارة ، وحلت غيرها محلها كما يعينه المنشور .

لقد كانت هذه الحركة بداية لسلسلة من الحركات مثلها ، وكان لها اثر سيء في الحياة الديمقراطية للعراق ، لانها جعلت القوة وسيلة للحكم ، كذلك كان لها الاثر نفسه على الحياة الفكرية ، ففي مثل هذه العمود يدور الادب في افق ضيق ، لما يفرض عليه من قيود .

ولعل اول بيان (٢) اصدره رئيس الوزراء ، ما يكفي

(١) جمعها عبد الجبار الرجبي وطبعها في دمشق سنة ١٩٣٣ .

(٢) اقرأ هذا البيان في جريدة البلاد الصادرة في ٣٠ ١٣٠٠ سنة

١٩٣٦ ، وانظر البيان الاخر في الجريدة نفسها ١٣٠١ سنة

للدلالة على التدخل السافر الذي قام به الجيش في الحياة السياسية آنذاك فقد تذرّع بالمعاذير المختلفة لاقامة حكم يستمد سنده من القوة ، لا من ارادة الشعب ، كما اخذ يتذرّع بالكشف عن مساويء العهد الماضي ويقوم بحملة واسعة من الدعاية للحكم الجديد ، ولكن ذلك كله كان ذا اثر محدود في توطيد اركان هذا الحكم .

" وكان من الطبيعي ان يسلك الفريق بكر صدقي سلوكا لا يلائم احوال العراق السياسية ، ولا يتفق مع تقاليد الدستورية ، وان يقوم على امور لا يمكن لاية وزارة ان تقرّها ، لانه لم يكن ملما في الامور السياسية ولا يعرف غير القوة سندا " . (١)

ويرى الدكتور خدوري : ان تركيز السلطة في زمن ياسين الهاشمي ، وقد كان الملك فيصل يدعو الى الاعتدال في ذلك - كان من نتائج تركيز هذه السلطة في قوى الجيش فاصبح قادرا على ان يخمد اى عصيان تقوم به القبائل ضد الحكومة . وفي هذه الفترة حدثت حريات الناس وذلك باخضاع جميع المؤسسات الوطنية للقوة التنفيذية . . . وقد اسكت المعارضون السياسيون وحدثت حرية الصحافة " . (٢)

(١) الحسنی : تاريخ العراق السياسي الحديث ١٦٨ / ٣

(٢) Independent Iraq, 69-70

وهكذا فان هذه الحركة قامت تعالج الداء بالداء ، فبدلاً من ان تسلك اسلوباً ديموقراطياً ، مالت الى غيره من اساليب الحكم . وكما ساهم الشعراء بمعالجة سائر الاحداث التي المت بالبلاد ، فقد ساهموا بهذه الحركة ، التي كانت الاولى من نوعها في تاريخ العراق الحديث ، ووقفوا ازاءها كما وقف غيرهم بين مؤيدٍ لها يرى فيها الخير للامة ، وبين معارضٍ لها يرى انها قد انطوت على الكيد والمكر ، ومن امثلة هذا الاتجاه قصيدة للشيخ على الشرقي عنوانها " محنة الاخلاص " (١) وفيها ينمى على القائمين بالحركة بنعيم ، وهو يستهلها بما يأتي :

يا محنة الاخلاص في اهدافنا من ذا يلفظ محنة الاخلاص ؟
شر من الاقفاص يا احبابنا اصغاكم لبلابل الاقفاص

ثم يشفق على الحرية المأسورة :

اشفق (لها) حرية مأسورة طيرا برفر في يدي قفاص

اما الشعراء الذين ذهبوا يحيون هذه الحركة ويباركون اهدافها ، فقد اتجهوا في الغالب ينظرون الى العهود الماضية من الحكم ، وما انطوت عليه من المساوي ، ثم يبررون قيام هذه الحركة على انها ستقوم على انهاض البلاد ، وازالة ما تقاسيه من محن وازمات ، وذهب بعضهم يسلك الاساليب القديمة في تحيته للحركة

(١) ديوان عواطف وعواصف ص ٢٠٥

الجديدة ، اذ يوجه تهانيه الى قائدها والى الجيش الذي قام بها ، ولكن الشاعر بحر العلوم يرى في قصيدته " ثورة الانقلاب " (١) ان هذه الحركة كانت وليدة الاضطهاد لازمان طويلة مرت بالعراق ، لا في عصره الحاضر ، بل في ماضيه السحيق :

اذا استفحل الشر في امة	تفتح في خيرها الف باب
وتلك خطايا مئات القرون	تولد في الحال منها الصواب
ولولا ازدياد عتو الطغاة	وحمل النفوس على الاضطراب
لما انفجرت (حكمة) المخلصين ^(٢)	ولا اندلعت ثورة الانقلاب

وفي قصيدة عنوانها " ذكرى الماضي الاسود " (٣) لمحمد رضا الخطيب يستهلها بقوله :

شكوت من الاوطان والاهل غربة وبعدا به اصبحت هم التراجم

ويلقى الشاعر نظرة الى الماضي وما امتلأ به من آلام واوزار ، ثم يعرج الى الحاضر الذي كان بداية الانطلاق ، ثم الى المستقبل المشرق ، ومثل هذه المعاني يديرها شاعر اخر هو احمد رضا

(١) ديوان العواطف ص ١٤١

(٢) حكمت سليمان رئيس الوزارة

(٣) جريدة الانقلاب ٧ ك ٢ / ١٩٣٧

في قصيدته "كان الانقلاب" (١) ونلمس هذا الاتجاه نفسه في
قصيدة عنوانها "قبل الانقلاب وبعده" (٢) وهذه بعض آياتها :

لا رعاء الله عهدا	باد في الدهر اناسه
رفع العبد به رأسا	وطاطا الحر رأسه
قد قضينا بيسوس	وشقاء وتعاسه
ولقد كنا نعانى	فيه انواع الشراسه
ونقام من بني الجور	اعتسافا وشماسه
يوم كنا ننشد الحق	لكي نبني اساسه

وقد شارك الجواهري في تأييد هذه الحركة بقصيدة عنوانها
"تحرك اللحد" (٣) منها :

وتم شرذمة القت لها حجا	من طول صفح وعفو فهي تستر
انى اصارحك التعبير مجترئا	وما الصريح بذى ذنب فيغتفر
ان السماء التي ابدت رونقها	يوم الخميس ^(٤) بدا في وجهها كدر

(١) جريدة الانقلاب ٧ ك ٢ سنة ١٩٣٧

(٢) جريدة الانقلاب ٢١ ك ٢ سنة ١٩٣٧

(٣) ديوان الجواهري ١/ ١٥٧، واقرأ في هذا المعنى قصيدة
"يا نفس" لعبد القادر الزهاوى (جريدة الانقلاب ١٧ آذار
سنة ١٩٣٧) وقصيدة "الانقلاب" لصادق الاعرجى و"نشيد
الجيش" لحبيب العبيدى (جريدة الانقلاب ٢ نيسان سنة ١٩٣٧)

(٤) وهو يوم الانقلاب

تهامس النفر الباكون عهدهم ان سوف يرجع ماضيهم فيزدهر
تجرى الاحاديث نكرا كعادتها ولم يرجع سامر منهم ولا سمر

وتراء هنا يقف موقف المندد بالخصوم طالبا النقطة والحدز ، من
ان يقوموا بامر ، لا يتفق مع اهدافها وراميها ، ويخيّل اليك ان
الهواجس تملأ نفس الشاعر ، فيطلب الى القائمين بالامر محاسبة الذين
اساءوا واجترحوا :

فحاسب القوم عن كل الذي اجترحوا عما اراتوا وما اغتزلوا وما احتكروا
للان لم يبلغ شهر من مزارعهم ولا ترحزح مما شيدوا حجر
ولم يزل لهم في كل زاوية منوّء بمخازيهم ومفتخر

لقد بلغت الحماسة بالشاعر وتأبيده للشورة ان يطلب البحث عما جرى
من الاستغلال في العهد التي سبقتها ، والايقاع بمن اساءوا استغلال
النفوذ ، لان بقاءهم يخطر ويهدد بعودة المياه الى مجاريها .

وهكذا نجد ان الشعر السياسي في هذه الفترة يتجه
وجهتين احدهما تنقد هذه الحركة ، والاخرى تؤيدها على ان
ذلك لا يعنى انها ظفرت بتأييد الراى العام واجماعه عليها ،
فالشعر قد يكون صدى للراى العام ، كما يكون احبانا صوت
الحاكمين ولسان الامرين . وعلى الرغم مما قيل من قصائد في
هذه الفترة من الحكم ، فان الاوضاع التي سادت لم تكن لتساعد
على ازدهار الحياة الفكرية ، وانبعث الشعر حرا طليفا يعبر
عن عاطفة صادقة واحاسيس جياشة ، والاحزاب السياسية التي لم
يعد لها اثر ، والصحافة التي وضعت دونها القيود ، كانت

هذه العوامل الجديدة المؤثرة فيها من اسباب انحطاط الشعر وتدهوره .

٣ - مصرع الملك غازي

فوجيء الرأي العام العراقي في صباح اليوم الرابع من شهر نيسان سنة ١٩٣٩ بهذا البيان : "بزيد الحزن والالسم ينعي مجلس الوزراء الى الامة العراقية انتقال المغفور له سيد شباب البلاد ، جلالة الملك غازي الاول الى جوار ربه ، على اثر اصطدام السيارة التي كان يقودها بنفسه بالعمود الكهربائي الواقع في منحدر قنطرة النهر ، بالقرب من قصر الحارثية فسي الساعة الحادية عشرة والنصف من ليلة امس" (١)

وفي مثل هذه الاوضاع السياسية القلقة ، التي انطوى الشعراء فيها على انفسهم تهز البلاد كارثة جديدة ، لم تكن في الحسبان ، فاعلن الشعب عن الاسى الذي يملأ جوانحه في حفلات التشييع والتأبين . واشترك الكتاب والشعراء بيبكون الوطن لانه فقد من علقت عليه الامال ، وكان الرثاء في جملته من الناحية الفنية لا يخرج عما افه الناس من قبل . فقد قام بعض الشعراء

(١) تاريخ العراق السياسي : ١٩٢ / ٣ وانظر ٢٥ - ٢٢٢

يستخدمون التاريخ الشعري في وفاة العاهل ، من ذلك قصيدة
عنوانها " مناقب " ختمها الشاعر بهذين البيتين :

ملك راح للآخرى شبابا فاودعنا المآثم والتعازي
به اودى الردى اخ وفيه : بنيسان الاسى قد مات غازي

والقصيدة طويلة يستعرض فيها الشاعر مآثر البيت الهاشمي سواء كان
ذلك في مجال السياسة او الدين حتى ينتهي الى الراحل ويذكر
صفاته ثم يعبر عن آماله بالملك الجديد ، والقصيدة من الناحية
الفنية في حاجة الى لغة محكمة والى معاني جديدة ، فهي اشبه
ما يكون بالمرثي التي كنا نسمعها من قرون .

ومن قطعة ادبية ، من الشعر المنثور عنوانها " شعب
بيكي " (٢) للاديب عبد المجيد لطفي نقتبس ما يلي :

هكذا قدر لنا ان نفقدك على عجل يا سيدى الملك
وكذلك كانت ارادة القدر ان يسلبك منا الاجل الطائش
فتذهب بن عشية وضحاها الى ظلام العدم
وتترك وراءك امة بالية

وبعد ان يحف الاديب مشاعره ومشاعر الشعب اتجاه ملكه يقول :

يا سورية العزيزة ا
يا فلسطين الباسلة ا
يا كويت المحبوبة ا
ما نسبكم العراق ، في مصابه الاليم نادى بكم
وهتف بكم وباستقلالكم

وبلاحظ ان هذا اللون من الرثاء يختلف عن غيره ، فالشاعر هنا
يشير الى الامل التي كانت معلقة على الملك غازي ، في اقامة
نواة للوحدة العربية تتألف في البداية من سورية والكويست
والعراق ، وانقاذ فلسطين مما تعانيه من شقاء وما ينتظرها من
مستقبل مظلم ، ومن قصيدة للشاعر على الشبيبي :

نفاك غازي وذي الاكباد نذرنا

على الخدود كسيل الواكف الهطل

وما يفيد البكا ان نبك من جزع

ابا البلاد وحاميها من الغيل

فهل يرد علينا الدمع ما سلبت

يد المنون وهل يشفى من العلل (١)

وبعد ان يصف الشاعر ذلك الحزن الذي وقع من جراء تلك الكارثة
يخاطبه مرة اخرى ، ويعجب كيف امحت معه بسمات النصر والامل :

يا صقر هاشم يا عنوان مفخرها يا شبل منقذنا يا مضرب المثل

انا لنأسف ان تسمى رهين ثرى من عشرة الدهر ان الدهر كالثل

ويغتدى وجهك الوضاح في لحد وتحى بسمات النصر والامل (٢)

ومن قصيدة للشاعر "عبد الستار الفرغولي" عنوانها " وامليكاه " (٣)

(١) جريدة الزمان ١٦ نيسان / ١٩٣٩

(٢) جريدة الزمان ١٦ نيسان / ١٩٣٩

(٣) جريدة الزمان ١٥ نيسان / ١٩٣٩

يهث الشاعر فيها آلامه واحزانه ، لهول المصاب ، ويبدوها بقوله :

نعيك سيد العرب المفدى نعيّ هذ ركن العرب هذ
له وقع على الاسماع صعب كصوت المستبد اذا تحدّى

وهكذا ترك هول المصاب آثار الحزن والاسى في الشعر العراقي ،
وقام الشعراء بكون الملك الراحل لانه مناط امل البلاد ومعقد
رجائها .

٤ - الاماني القومية

وفي هذه الفترة قوى الوعي القومي ، واحس الناس ان
مستقبل وطنهم منوط بمستقبل الوطن العربي ، وكان لهم من
التجارب الماضية ما يؤيد صحة هذه الفكرة ، فقد اشرنا الى
موقف العثمانيين ومن بعدهم الحلفاء من اماني العرب ، مما جعل
الاخيرين ينظرون نظرة شك وريبة في كل مساعدة تردهم من
الخارج ، وان استقلالهم يجب ان يقوم على التعاون فيما بينهم ،
ومن ثم لم يكن نشوء الجامعة العربية فيما بعد ، الا صدى
لامال كانت تعتلج في نفوس الكثيرين من سكان العالم العربي ،
ولئن قدر لها ان تخفق في كثير من القضايا ، فمرد ذلك الى
اسباب ليس هنا موضع تفصيلها .

وكان من العوامل المساعدة لنمو الشعور القومي في
النفوس ، ان العراق قد انتهى من فترة الانتداب ، بعهد

جهاد شاق كما ذكرنا ، وقد اخذ ينظر بعد ان تحقق استقلاله الى اهدافه البعيدة ، التي يستطيع ان يصل معها الى مستقبل زاهر ، بتعاونه مع سائر الاقطار العربية .

وما شجع على بقظة الروح القومية المطامع النسبي اتجهت الى بعض اجزاء العالم العربي الاخرى ، ومن امثلتها مشكلة اسكندرونة في سورية ، وشط العرب والموصل في العراق ، والمغرب العربي في افريقيه ، وقد ولدت هذه المشاكل مخاوف جمّة في نفوس العرب وجعلتهم يتبصرون بالاعذار المحدقة بهم ، ويؤمنون بان التعاون بينهم خير وسيلة لحل تلك المشاكل .

وسوف نعرض لقضية فلسطين ، وما لعبته من دور خطير في بث الحماسة القومية في النفوس ، لانفاذها من الغاصبين .

ولئن استحوذت فكرة الرابطة الاسلامية حيناً على نفوس فريق من الشعراء والادباء ، فليس لذلك من سبب الا ان الدولة العثمانية اتخذت من فكرة الخلافة وسيلة لها ، لتثبيت اركان حكمها في العالم الاسلامي ، على ان هناك امراً جديراً بالملاحظة ، فاذا كنا نقرأ بعض القوائد ونسمع بعض الاصوات في الدعسوة الى هذه الرابطة العثمانية فلن يفوتنا ذلك الاستبداد والطغيان الذي تميز به ذلك الدور لا سيما في عهد السلطان عبد الحميد فلا عجب ان يشايح الشعراء الاتجاه العام ، ومن ثم انقلبست تلك المدائح للسلطان تنديدا بظلمه وطغيانه حين ازيل ذلك الكاهن .

واننا لنسمع للمرة الاولى في تاريخ الشعر العربي ،
اصواتا تدعو الى الوحدة القومية والوطنية ونبذ الخلافات
الدينية ، ولعل اول قصيدة تطالعنا في هذا الباب ، للرصافي
عنوانها " الى اخواننا المسيحيين " :

أما آن تنسى من القوم اضغان	فبيني على أمس المآخاة بنيان
إذا جمعتنا وحدة وطنية	فماذا علينا ان تعدد اديان
انشقى بامر الدين وهو سعادة	اذن فاتباع الدين يا قوم خسران (١)

والزهاوى الذى تغنى بالخلافة الاسلامية حينما من الدهر ، لم
يلبث ان جرفه التيار ، وسار في الموكب الجديد ، موجها نداءه
الى امته وابناء قومه ، باسم الوطن والقومية ، لا باسم الدين ،
حاثا اياهم على النهضة والتقدم :

ثبوا بالسنة لكم من نار	ما في جماجمكم من الافكار
سيروا الى غاياتكم في جراءة	كالسبل هدارا وكالاعصار

نوروا على العادات ثورة حانق	وتمردوا حتى على الاقدار
لا تقبلوا في الدين ما يروونه	الا اذا صح في الانظار (٢)

ثم ينمى على المسلمين تأخيرهم ، ويتساءل عن اسباب هذا التأخر
اهي امور ظاهرة ام خفية لا تدرك ؟ وطالما عمد الى المقارنة

(١) ديوان الرصافي ص ١٣١

(٢) ديوان الاوشال ص ٢٠

بين حاضر هذه الامة ، وما تلقى فيه من عنا ، وبين ماضيها الزاهر
السعيد :

ابكي ومثلي بالبكاء حقيق	آمال شعب مالها تحقيق
ولقد يذكرني بعز آفل	برق له خلل السحاب خفوق
منى العراق بثلة رجعية	جو العراق بشعرهم مخنوق
ما بال دنيا المسلمين تأخرت	اهناك شئ في الخفاء يعوق؟ ^(١)

وتغلب الحماسة على نفوس الشعراء ، فينطلقون معبرين
عن عواطفهم ، اتجاه وطنهم ، ونحو سائر الاقطار العربية الاخرى
حين يمسيها اذى او تنزل بها كارثة ، وتراهم يتخلصون الى هذا
الغرض في كثير من المناسبات ، لا سيما تلك الزيارات التي تقوم
بها بعض الوفود من قطر عربي الى اخر ، ومن امثلة ذلك
قصيدة للشاعر عبد الستار القرغولي وجهها الى شباب بردي :

ابنى الشقيقة انما اوطاننا	دار لعائلة فلا تنقسم
انت فلسطين بها فكأنما	سهم يسيل واخر يتخرم

ثم يهيب بالعرب ، الا يتخلوا عن تلك الارض المقدسة ، وان تشترك
البلاد العربية كلها في الدفاع عنها :

لا تتركوا الوطن المقدس وحده	وعليه خف وبالهم والمنسم
فلتشعلوها ثورة عربية	في كل قطر وانقموا وتقحموا

(١) الاوشال ص ٥٠

انا بوحدتنا سناخذ حقنا وستندمون ولا يفيد المندم^(١)

وينكشف هذا الشعور القومي ، في الشعر العراقي ، حين تلم ببعض
اجزاء الوطن العربي كوارث تتفاوت في الشدة والقسوة ، فطرابلس
حين تتعرض لاضطهاد الطليان ، ثور نائرة الرصافي ، فيبيث
اشجائه ولواعجه في قصيدة عنوانها " في طرابلس " ^(٢) وهذه
ايات منها :

لك الله يا قتلى طرابلس التي بها حُثم الطليان اسياهم غدرا
اداموا بها قتل النفوس نكاية الى ان اصاروا كل بيت بها قبرا

لئن ايها القتلى اريقت دماؤكم فما ذهبت عند العدا بعدكم غدرا
ستنار حتى تسام الحرب ثارنا ونقتل عن كل امرئ انفسا عشرا
واني لتغشاني اذا ما ذكرتمكم لواعج حزن ترتبي في الحشا جمرا

وهو يدير هذه المعاني عن المآسي التي وقعت في طرابلس وبرقة ،
في قصيدة اخرى عنوانها " الى الحرب " ^(٣) التي يستهلها بقوله :
الا انهض وشمر ايها الشرق للحرب
وقبل غرار السيف واسل هوى الكتب

(١) من مجموعة شعوية ارسلها الي الشاعر ، بعنوان القصيدة " الى
شباب بردي "

(٢) ديوان الرصافي ٤٨٤

(٣) ديوان الرصافي ٤٨٠

وسوريا حين ينزل بها الفرنسيون ضروب العسف والظلم ، يبكيها
الرصافي في قصيدته "دمشق تندب اهلها" (١) والجواهري في
قصائده "دمشق النائرة" (٢) و"على دمشق" (٣) و"الى الشباب
السوري" (٤) والاثري في قصيدته "دمشق" (٥) ويوسف قصير في
قصيدته "سوريا النائرة" (٦) وهناك عدد اخر من القصائد نظمت
في هذا الغرض ، قد انتشرت في بطون الجرائد والمجلات .
ونستمع الى الدعوة لاتحاد القطرين العراق وسوريا في قصيدة
عنوانها "وحدة القطرين" (٧) وتقوم هذه الدعوة الى حاجة
القطرين المتبادلة لدفع الخطوب ورد المصائب ، كما تقوم على
الاساس التاريخي في ان العرب امة واحدة :

صوغوا عراها من الاحداث والنوب ان لم تصوغوا من التاريخ والنسب
الى ان يقول :
فان اطلت على بغداد كارثة باتت دمشق لها في ثوب مرتعب
وان صفا في دمشق الجو مزدهيا من زهوه رفلت بغداد في القشب
وما شغلنا بشئ من مطالبنا الا وحدثنا في اول الطلب

(١) ديوان الرصافي ٤٥٤

(٢) ديوان الجواهري ١٢٠ / ٢

(٣) ديوان الجواهري (طبعة ١٩٣٥) ٢٣٥

(٤) ديوان الجواهري ٨٥ / ٣

(٥) مجلة الرسالة ١٩٣٨ / ٢٥٦

(٦) في اعاصير الشباب ٤٧

(٧) جريدة لواء الاستقلال عدد ١٩٤٩ / ٧٨٢

ومصر حين يكيد لها العدو يشاركها بعض الشعراء وانك تقرأ
قصيدة الجواهري التي عنوانها " الى الشعب المصري " (١) فتحس
بتلك العواطف الجياشة التي يبثها مصر ، وتقرأ قصيدة عائكة
وهبي الخرجي التي عنوانها " دجلة تحيي النيل " فتحس بما
امتلاءت به نفس الشاعرة من عواطف نحو مصر ، واليك ابيانا من هذه
القصيدة :

انا لنجمعنا نطق وما اختلفت	منا الدماء ودين بالهدى قاما
ومبدأ الوحدة الكبرى يقربنا	قربا تخال به الاهرام ايوانا
وان تاريخكم ما زال يخبرنا	بانكم كنتم للمجد اعلاما
يا مصرفك روحي وهي ظامئة	لئن تعيش بقرب النيل اياما (٢)

اما لبنان ، فقلما تجد ديوان شاعر عراقي قد خلا من ذكره ، وانك
اذا تقرأ ديوان الرصافي او الزهاوي او الشبيبي او الشرقي او
الساوي تحس بما امتلأت به نفوسهم من عواطف تجاه هذا البلد ،
فتغنوا بجماله وسحر طبيعته ، وساهموا في بث عواطفهم ازاء
الاحداث التي وقعت فيه .

ويجدر بنا ان نشير الى الشعر الكردي ، الذي اخذ
يساير الاداب الاخرى في اتجاهاته العامة ، ومعالجاته للموضوعات

(١) ديوان الجواهري ٢/٣

(٢) بدوي طبائسه ص ٤٥

الاجتماعية والسياسية ، وبالرغم من حداثة عهده ، فان القارئ يلمس
في كثير من قصائده خصباً وحيوية ، ويعبر عن الاماني القومية
لهذا الشعب . ولنستمع الى ابيات من قصيدة للشاعر الكردي
"بيره ميهد" :

ايها الوطن الام ، انهض لرد التحية
ها هم شهداؤك بملايسهم الحمر القانية
ما اجمله ! الدم وبياض المشيب ، الشباب والشيخوخة
تطلع اليهم يا وطني ، انهم من ابنائك المغاوير
ضحوا بارواحهم وهم يهتفون : عش عاليا ايها الوطن
قدموا ارواحهم قرايين رخيصة في سبيلك
فاذا لم تكن حراً طليقا فالموت لنا يا وطني (١)

ومن الجدير بالذكر ، ان الاكراد في العراق ، بصورة عامة ، يشاركون
اخوانهم شعورهم الوطني ، ويساهمون مساهمة فعالة في خدمة
البلاد ، وقد كان الرصافي والزهاوي ، اللذان ينحدران من اصل
كردي — كان هذان الشاعران صوت العراق في آماله وآلامه ، بل
كانا صوت البلاد العربية كلها ، يوم كانت تحت الحكم العثماني .

(١) روشن بدرخان : صفحات من الادب الكردي ص ٤١

الفصل الثالث

الحرب العالمية الثانية

للحرب اثر قوى في توجيه الشعر ، منذ اقدم العصور حتى عصرنا الحاضر ، فطالما تغنى الشعراء بالانتصارات التي احرزتها اممهم او قبائلهم او المجتمعات التي ينتمون اليها ، ولطالما كان القادة والابطال الذين يخوضون تلك المعارك موضوعات حية لكثير من الملاحم والقصائد ، ولو اردنا استقصاء الشعر الذي يدور حول الحرب لدى كثير من الامم لظهر لنا انه يكون جزءا ضخما من تراثها الفكرى .

واننا اذ نقرا الالياذة والاوديسه ، اللتين ترسم فيهما صور الكفاح والوان البطولة ، في المعارك التي تعرّض لها اليونان وكذلك (Anibed) التي وضعها Virgil ، لوصف الوقائع التي خاضها الرومان ، والملحمة الهندية "المهبراته" نلتصم نسي كل هذه عالما يفيض بالحياة ، ويمتلئ بالوان زاخرة من البطولة والمجد ، اما في التاريخ العربي فلا تغيب عن الازهان ايام العرب في الجاهلية وحروبهم في عهد الاسلام ، وما كان لها من اثر فعال في توجيه الشعر ، ولسنا في حاجة ان نعيد الى الازهان اخبار حرب البسوس ، ومعارك المسلمين مع خصومهم من روم وبيزنطيين ، واخبار الخوارج ، وآثار ذلك كله في

الشعر .

واذا كانت الحروب — في الغالب — آخر الوسائل التي يلجأ اليها الخصوم في صراعهم السياسي ، أدركنا العلاقة الوثيقة بين الشعر الذي ينظم في هذه المناسبات والاتجاهات السياسية التي تمسها ، وسوف نتحدث في هذا الفصل عن الاثر الذي تركته الحرب العالمية الثانية في الشعر العراقي ، وما طرأ عليه من تغييرات وتطورات ، ومقدار تأثيره بالاحداث السياسية سواء كانت محلية او عالمية . فقد اصطلح العراقي ، كغيره من السالك ، بنيران هذه الحرب ومرّ خلالها بمراحل مختلفة ، وكل مرحلة لها طابعها وسماتها الخاصة ، ومن هنا تباينت آثارها واختلفت اتجاهاتها ، وسنتحدث فيما يلي عن كل مرحلة من هذه المراحل ، وما تركته من آثار في الشعر العراقي :

١ — ففي المرحلة الاولى وقف على الحياد ، مع ارتباطه بمعاهدة تحالف مع بريطانيا وقد اشرنا الى هذه المعاهدة من قبل ، واذا كانت هذه المحالفة تنص على وقوف العراق الى جانب حليفته في مثل هذه المحنة ، فان شعورا قويا كان لا يتجه هذا الاتجاه ، وفي مقدمة المنبرات لهذا الشعور ، قضية فلسطين ، وغدر الحلفاء بالملك حسين ، وتخليهم عن الوعود التي قطعوها للعرب في الحرب العالمية الماضية . وان وجود الحرب في بقعة معينة من الارض جعل الناس ينظرون اليها نظرة المتفرج بادي الامر ، ولكنها حين

اخذت تنتشر رويدا رويدا ، وحين بدأت الممالك تنهار واحدة
اثر الاخرى ، وحين بدأت الازمات تأخذ بخناق الناس ، اتجه
عدد كبير من رجال الفكر الى معالجة مآسيها ، والتدبر في عواقبها
المفجعة . وقد اتخذ الشعر العراقي ، وجهة انسانية خلال هذه
الفترة ، اذ طافت باذهان الشعراء صور الحرب العالمية الماضية
ومآسيها ، ورأوا اولئك الذين ادعوا انهم خاضوها لحماية الحرية
والدفاع عن الشعوب ، كانوا اول من استباح الحرية واستعبد
الشعوب الضعيفة حين تم لهم النصر ، وتلمح هذا الاتجاه الانساني
في قصيدة للشيخ باقر الشيبلي اذ يقول :

ان خمدت حرب فدى الثانية يوقدها الائم والمذنب
سوف تراها في الدنا حامية يصلى بها المشرق والمغرب (١)

وما دامت المثل العليا لن تحقق ، وليست هنالك وجهة انسانية
لاى من الفريقين المتحاربين ، فلتغتتم امتنا هذه الفرصة السانحة ،
لنيل حقوقها ، والوصول الى امانها :

فالامة الساهرة الواعية تلعب بالنار ولا تغلب
اباكم والنخمة البالية والفرصة الفرصة لا تذهب

وينحو هذا المنحنى شاعر اخر ، فيرى ان الحرب وليدة افكار الغربيين
فولدت الخراب والدمار في بقاع الارض ، وان احدا من الناس

(١) من قصيدة عنوانها " الحرب " للشيخ باقر الشيبلي (شعراء الغري

لم يستطع ان يكبح من جماحها ويخفف من ويلاتها ، حين انطلقت
اصداؤها كالرعد ، ومشت تجرّ وراءها البؤس والشقاء :

القحتها فكرة الغرب عوانا فاحالت كرة الارض دخانا
ودوت كالرعد في الافق فلم يلو من عثرتها الدهر عنانا
ومشت في ام الارض فلم تبق من بنيان عليها كيانا

ثم يخاطب الغريين ناعيا عليهم اضطهاد الاحرار ، وفقدان الرحمة
والحنان :

لا رضى الله مياديننا بها اوسعوا الاحرار ذلا وهوانا
وقوانين على الجور ابنتت نسخوا الرحمة فيها والحنانا

ويخلص الى الخاتمة التي انتهى اليها الشاعر قبله ، مهيبا بامته ان
تنهض ، وان تواصل السعي حثيثا للحصول على الامال التي ينتظرها
الحرب ، وقد عقد الامل على شبابهم :

يا شباب العرب يا اسد الشرى واصلوا سعيكم انا فآنا
فعليكم عقدت آمالنا وبكم اصبح تحقيق رجانا (١)

ومثل هذه الدعوة انطلقت في الحرب العالمية الاولى ايضا ، حين
لم تكن الاتجاهات الوطنية واضحة آنذاك كل الوضوح ، فهناك فريق
كان يدعو الى الرابطة العثمانية ، ولعل الرصافي كان في مقدمتهم ،
وفريق يدعى الى التخلي عن هذه الدولة التي تذرعت بالديسن

(١) من قصيدة للشاعر عبد المنعم الفرطوس (مجلة الغرى ٣٥ / ١٩٤٠)

لتبسط نفوذها على دنيا المسلمين ، وفي مقدمة هؤلاء الشيخ رضا الشيباني (١) اما في الحرب الثانية فتلمح ان الاتجاه يكاد يكون واحدا ، هو التخلي عن كل سلطان اجنبي ، والحصول على الاستقلال الناجز ، الذي لا تقيده الشروط ، ولكن هذه السروح كانت خافتة في المرحلة الاولى من الحرب ، كما ذكرنا ، فكانت النزعة الانسانية هي السائدة في الشعر العراقي آنذاك وللشبيخ جواد الشيباني قصيدة في وصف احوال الحرب منها :

قرأنا على الايام احوالها درسا	ومن قبل هذا الدرر تعرفها حدسا
اذا نحن قلنا اصبح الكون هادئا	تضارب مهتزا واضحي كما امسى
شعوب احست بالدخان وخلفه	مقاييس لا تبقى شعورا ولا حسا
تفاقت الحرب الضروس فلم تدع	نوايبها نابا لشعب ولا ضرسا (٢)

وتبرز هذه النزعة الانسانية عند شاعر اخر ولا يكفي بالوقوف عند حدود المآسي ، واظهار اللوعة والحزن على المصائب التي تنزل بالانفراد والشعوب ، بل يرى الامل يساور النفوس في ان نظام الاستعمار سينهار بعد هذه الحرب ، وتنال الشعوب حريتها واستقلالها ، ومن امثلة ذلك قصيدة للرصافي عنوانها "نحن والحالة العالمية" (٣) يستهلها متسائلا عن هذه الخطوب والاحداث التي

(١) انظر قصيدة "الحب الطاهر" ديوان الشيباني ص ٤٠

(٢) شعراء الغري ٢ / ٤٢٠

(٣) جريدة الزمان ٤ ايار سنة ١٩٤١ ، وانظر ديوان الرصافي

تضطرب اضطرابا ، وعما ستجلى عنه :

صاح ان الخطوب في غليان فيماذا يطرق الطوان

ولا يلبث الشاعر حتى يتجلى له ذلك الصبح المشرق ، حين تم
المساواة انحاء الارض ، ويسود العدل في ارجائها ، وتنتصر
المثل العليا والمبادئ الانسانية ، ~~ثم يلوح له ذلك الصبح المشرق ،~~
~~حين تسود الحرية وتم المساواة :~~

انني مبصر تباشير صبح	مستبصر على ظلام الاماني
ليس تلك الدماء في الحرب الا	شفقا من ضيائه الارجواني
سيلوح الداني به وهو قاص	ويلوح القاصي به وهو داني
ويكون المغز غير معز	ويكون المهان غير مهان
وسيفدو الضعيف محتّم الحق	ويمسى الظلوم في خسران

ومن يقيد الحرية غير المستعمرين ؟ فاذا انهار الاستعمار تحققت
المساواة والعدالة ، وعمر الكون :

فيبوء المستعمرون بخسر وتضي البلاد بالعمران

ثم يلتفت الشاعر الى قومه ، متسائلا عن موقفهم اذا تغيرت الاحوال
وتبدلت الظروف ؟ وهل سيقفون على حالتهم الراهنة يقاسون
الشقاء الوانا ، ام سيندفعون منطلقين وراء اهدانهم ومثلهم
العليا ؟ :

معشر العرب اين انتم من القوم اذا ما تم انقلاب الزمان ؟

والشاعر لا يلقي السؤال مستفهما ؟ فهو اعرف من غيره بما تعانيه

امته ، ولكنه يريد ان يعيد الى الذاكرة عهدا ابرمت من قبل ،
فنقضت ، ومواعيد قد اخلت من قبل الطامعين ، الذين استغلوا
خبرات الوطن ودفائنه :

نقض القوم عهدكم قبل هذا واستخفوا بحفظه في حواني (١)
واستهانوا بالوعد اذ اخلفوه واستغلوا دفائن الاوطان

ولم يكتفوا بذلك بل اتخذوا لهم في البلاد قواعد عسكرية ،
يحتمون بها :

واقاموا بها قواعد جـو لاحتشاد الجنود والطيران

ولثلا تثور عليهم نائرة الشعب بثوا عيونهم في كل مكان :

ثم بثوا بها العيون يعيشون فسادا في سوحها والمباني

وبذلك تمت لهم السيطرة على زمام الامر في البلاد فاصبحوا
يسبّرونها كيفما ارادوا :

ثم ساروا تجلسهم سيرفلك هم بها آخذون بالسكان

ولكن المظاهر لا توحى بهذه السيطرة وهذا التحكم ، فقد اتخذوا
من المواعيد والعهود قيودا ، بالرغم من اعترافهم في الاستقلال :

كل هذا وانتم مستقلون بزعم من عندهم وامتنان
قيدوكم لنفعهم بعهود ناطقات من امركم بلسان

(١) الحواني : الضلوع

ليس تلك العمود يا قوم الا كعمود الذئاب للحملان
اوثقوكم بها اسارا وقالوا ليس هذا لكم سوى احسان

وهكذا تبرز النزعة الانسانية بمظاهر مختلفة ، فهي تتسع احيانا حتى تشمل العالم بأسره ، ويكون انهيار الاستعمار القائم على الجشع والاستغلال ، مظهرا اخر لها ، وحين تقف الحروب ، وتنتشر الحرية اجنحتها على الامم والافراد ، فان ذلك آية على تقدم الانسان ، وسيره نحو المثل العليا والاهداف السامية التي تحقق للبشرية امانها .

٢ - وفي المرحلة الثانية ، اتخذ وجهة جديدة ،
فبينما كان الشعراء تحدوهم الروح الانسانية فيما ينظمون ، اذا بهم يفاجأون ببلادهم وهي تقف وجها لوجه امام الامبراطورية البريطانية ، فتنتطلق القذائف بين الجانبين ، في فترة من الهدوء والسكينة ، تعم العالم خلال الحرب ، وقد اطلق بعض الكتاب على هذه الحركة "ثورة ابار" او "ثورة الثلاثين يوما" وليس يعنينا هنا ان نتبين دوافع هذه الحركة واسبابها والنتائج التي انتهت اليها ، فقد افاض بعض الكتاب فيها ، وكانت هنالك وجهات نظر متباينة حيالها ^(١) ، وقد بدأت هذه الحركة في ٢ ايار

(١) انظر تفاصيل هذه الحركة في: عبد الرزاق الحسني : الوزارات العراقية ١٧٩/٥ - ٢٤٥ وكمال حداد في كتابه "ثورة رشيد عالي الكيلاني" و Khadduri: Independent Iraq: 182

سنة ١٩٤١ ، واستمرت شهرا كاملا استطاعت في نهايته القوات البريطانية ان تكتسح مدينة الفلوجة اولا ثم بغداد ثانيا ، وكان الرصافي يقيم في مدينة الفلوجة خلال تلك الحوادث ، وقد نظم قصيدته التي عنوانها "يوم الفلوجة" (١) في وصف ذلك الحادث ، وسوف نعرض لهذه القصيدة . ولم تقتصر اصداء هذه الحركة على الشعر داخل العراق ، بل ان عددا من الشعراء الذين كانوا في الخارج ساهموا في بث الحماسة بقصائدهم ، ومن ذلك قصيدة للشاعر النجفي نظمها يوم كان في بيروت خلال هذه الفترة ، وقد ضمنها عواطفه وخلجاته :

ليس ينمو العزّ الا	في ضفاف الرافدين
فلکم فاضا دماء	اخصبت في الشاطئين
يا ليوثا تحرم الغاب	بكلتا المقتلين
انتم اثبتتم الحق بما ضل	الطرفين
صرتوا للعرب طرا	بالدما قرّة عين

ثم يوجّه آماله الى الملك فيصل الاول ، الذي هو رمز المجد :

فيصل للمجد رمز	خالد في النشاطين
شاء ان نحيا وشئنا	فاتحدنا عزمتين
كونوا امة عرب	لا تقولوا امتين
انكم مطمح امال	بلاد المشرقين (٢)

(١) ديوان الرصافي ٤٦٨

(٢) جريدة الزمان ٧ ايار سنة ١٩٤١

وهكذا اتجه الشاعر يعيد الى الذاكرة الامجاد التي نعت وقامت
على ضفاف الرافدين ، وبارك الذين قاموا بهذا العمل ، ويحيى
الملك فيصل لانه رمز الامة ، ويدعو الى قيام وحدة عربية ، تكون
عزيزة الجانب ، قوية البنيان . ولقد سبق لنا ان اشرنا الى
نمو الروح القومية ، في البلاد العربية لا سيما العراق ، وتعرضنا
للعوامل التي أدت الى يقظة هذه الروح ، وانك تلمسها واضحة
في كثير من تقروء من الشعر العراقي في هذه الفترة .

وللشاعر محمد بهجت الاثرى قصيدة طويلة ، استوحاها
من هذا الحادث ، وفيها يصف تحرّش القوى بالضعيف ، وروثة
الثاني للدفاع عن كرامته وحقه ، بالرغم مما حشده القوى - اى
بريطانيا - من وسائل الحرب في الجو والبر والبحر ، ويرى
ان هذا القوى قد حان حينه ، وان جنازته قد شيعت بهذه
الضربة التي انزلت به ، ثم ينتهي الى الامل في التحرر من
ايدى ذلك الاستعمار الذى ظل امدا طويلا يبعث الرعب والفرع
في النفوس :

غزوا اباك فاضطربت ابا	وحشدت جوك والثرى والماء
راموك بالذل المقيم كانهم	حسبك عبدا قد شروك فدا
يا ويحهم غلبوا على اعصابهم	فتحرشوا بك سكرة وعماء
نزل القضاء عليهم بمسلط	اخنى على اعصابهم ما شاء
اخذ السبيل على النزول وراهم	بالمشرقين ابادة ونشأ
في كل مطلع وكل ثنية	نكصوا على اعقابهم جبناء
ضربات اغلب لم يطبقوا حملها	حتى دعوا من لا يغيث ندا

بالواهن الخرف الكسيح تعللوا لو كان يغنى مثله الضعفاء
 ان الالى ذاق الورى بأساءهم عاد الانام يذيقهم بأساء
 شيعت يا وطني العزيز جنازة صنعوا بايديهم لها الحدباء
 انا لا اقول الى الجحيم فما اهدت الا اليها مسلكا وثوابا
 ويختمها نائلا :

يا ساعة التحرير عرسك قد اتى ان البشائر لحن والبشراء
 سقيا ليومك في الزمان فانسه من ليلة القدر الرجية ضاء (١)

ويسلك الشاعر عبد الحق فاضل هذا المنهج في قصيدته
 "ثورة الشعب الجبار" (٢) ويتابعه كل من انور خليل في قصيدته
 "امة تثب" (٣) وعلي الفراتي في قصيدته "ثورة الحق" (٤) وعبد
 السلام حلمي في قصيدته "الى الجهاد" (٥).

وحين قدّر للجيوثر الانجليزية ان تستولي على الفلوجه، (٦)
 بعد جهود جبارة اوقعت فيها فتكا وتدميرا ، وكان الرصاصي ،
 شاعر العراق ، مقيما آنذاك في هذه المدينة ، بعد ان اعتزل الحياة

(١) جريدة البلاد ٧ ايار سنة ١٩٤١

(٢) مجلة "المجلة" ١٩٤١/٥

(٣) مجلة "المجلة" ١٩٤١/٥

(٤) جريدة الزمان ٢٠ ايار سنة ١٩٤١

(٥) جريدة الزمان ٧ ايار سنة ١٩٤١

(٦) انظر تفاصيل هذه المعركة في مذكرات المستر تشرشل (الفصل

الرابع عشر ٢٢٤ - ٢٣٧)

العامّة منذ سنوات ، وقد شهد المأساة عن كثب ، ونظم فيها هذه القصيدة التي عنوانها "يوم الفلوجة" وفيها ينعى على الانجليز ظلمهم وتعسفهم واعتداءهم على السكان ، وقد ترك الشاعر هذه المدينة ، بعد وقوع الحادثة المذكورة ، وعاد الى بغداد فاقام فيها حتى ادركته المنية ، واليك قسما من هذه القصيدة :

ايها الانجليز لن نتناسى	بغيبكم في مساكن الفلوجه
ذاك بغى لن يشفى الله الا	بالمواضى جريحه وشجيجه
هو كرب تأبى الحمية انا	بسوى السيف نبتغي تفريجه
هو خطب ابكى العراقيين والـ	شام وركن البنية المحجوجه

حلها جيشكم يريد انتقاما	وهو مغربا الساكنين علوجه
يوم عاثت ذئاب آثور فيها	عيثة تحمل الشنار سميجه
فاستهنتم بالمسلمين سفاها	واتخذتم من اليهود وليجه
وادرتم فيها على العزل كاسا	من دماء بالغدر كانت مزيجه
واستبحتم اموالها وقطعتم	بين اهل الديار كل وشيجه
انهذا تمدن وعـلا	شعبكم يدعى اليه عروجـه (١)

وقد اوردنا من القصائد ما يمثل الاتجاه الذي يؤيد تلك الحركة ما فيه الكفاية ، وما يقدم صورة للعواطف والمعاني التي ادار الشعراء عليها قصائدهم حول هذا الموضوع ، ولم

نشأ ان نتخذ وجهة نظر معينة بل لا بد لنا ان نعرض وجهات النظر كلها .

وسواء كانت هذه الحركة على صواب او باطل ، فانها تركت في الشعر العراقي اثراً بليغاً ، ولئن وقف بعض الشعراء يومئذها ، فان بعضهم وقف يندد بها ، وينعى على قادتها طيشهم وحمقهم ، وما اوقعوه في البلاد من خسارة ودمار ، ولنستمع الى قصيدة عنوانها "الذكرى الاولى" (١) لشاعر استعار اسم "الشاعر المنزوي" وقد نظمها بمناسبة مرور السنة الاولى على قيام تلك الحركة :

يا معقد الامثل البعيد ومطمع العدد العديد
يا موطن المجد الطريف ومقل المجد التليد
يا موطني الغالي وقـاك الله من شر اكيد
قد دبّرت عصابة الاشـرار اذئاب العبيد

وقد اتجهت معظم الصحف العراقية ، فيما بعد ، الى شجب تلك الحركة (٢) والتنديد بالقائمين عليها ، وبيان الاخطاء والهفوات التي ارتكبوها ، وهكذا فقد كان التنديد بهذه الحركة وتفنيدها اكثر ظهوراً في المقالات منه في القصائد .

(١) مجلة "المجلة" ٢٤/١٩٤٢

(٢) ويعد خطاب الامير عبد الله من اهم الوثائق التاريخية المتعلقة بهذه الحركة وتطوراتها وهو يفتد العوامل والاسباب التي استند عليها القائمون بتلك الحركة (الحسني : الوزارات العراقية ٣٦/٥ - ٢٤٥)

٣ - اما المرحلة الثالثة من الحرب ، فانها تبدأ بانتهاء ثورة ايار ، بالنسبة الى العراق ، وفي هذه الفترة تغير الموقف السياسي للعراق ، اذ وضعت المعاهدة التي بينه وبين بريطانيا موضع التطبيق ، واعلنت الحرب على جبهة المحور . وقد بلغت مرحلة الكفاح في الحرب العالمية حذًا لم تبلغه من قبل ، وكان لكل ذلك اثره الواضح في الحياة العامة ، فارتفع مستوى الاسعار ، واشتدت الضائقة الاقتصادية ، وربما كانت حركة ايار عاملا مهما في ظهور هذه الازمات .

وقد عاد الى العاصمة سمو الوصي الذي غادر البلاد عند بداية حركة ايار ، فقام الشعراء يهنئونه ، ويباركون عودته . مثال ذلك قصيدة عنوانها "اليوم الوصي ، بطلعة الوصي" (١) لهاشم الخطيب :

اليوم عمّ الرافدين هناء	عاد الوصي فعادت الغما
وتخايلت دارالسلام واسفرت	وتباشرت طربا بها الارجا
وبدا عليها النور يشرق بعدما	اخنى عليها الظلم والظماء

ثم يصف الشاعر شهر ايار :

وبلاء من شهر تولّى مدبرا	منه الشهور اذا انتسبن برا
ايامه السود اللواتي ادبرت	ملء البلاد وملوّهن بلاء
كم ادمع فيه انصفحن لحادث	جلل وكم فيه انسفكن دماء

كم من وحيد الام اصبح طعمة للنار اوصليت به الرمضاء
ما ذنب هاتيك الجسم على الثرى اضحت تمج دماءها البوغاء

.....

وهناك لون ، ان لم يكن جديدا في الادب العربي ،
فقد ظهرت فيه معان جديدة ، ذلك هو شعر السجن ، ومن خير
الامثلة على هذا النوع ، مجموعة عنوانها "حصار السجن" لاحمد
الصافي النجفي ، الشاعر العراقي الذي ما زال منذ اكثر من
ثلاثين عاما يطوف بين سوريا ولبنان ، وقد اعتقل بامر من
السلطات الفرنسية التي تذرعت بان اعتقاله كان بطلب من العراق ،
ولنستمع اليه في قصيدته "الجرم الشريف" (١)

حبست وضاق الحبس حين نهج في الى غرفة ظلما محكمة السد
فقلت علام الحبس لا انا سارق ولا آثم عمدا ولا دون ما عمد
الى ان يقول :

ولما رأيت الذنب خدمة موطني حلا السجن حتى خلته جنة الخلد (٢)

وترى الشاعر يتنذر على تلك الحكومات التي شاركت في اعتقاله
وزجه في السجن وقد اخذت كل منها تسال الاخرى عن امره :

حكومة لبنان قد راجعت فرنسا لفكي فلم تسطع
وراحت فرنسا الى الانجليز تراجعهم جل من مرجع

(١) و (٢) حصاد السجن ٤٧

وقد راجع الانجليز العراق ولليوم بالامر لم يصدع
نقلت اعجبوا ايها السامعون ويأبها الخلق قولوا معي
امن قوتي صرت ام ضعفهم خطيرا على دول اربع (١)

.....

وفي هذه الفترة نرى الشعراء يتأثرون بالتيارات
الفكرية والمذاهب الاجتماعية التي اخذت تفتح العالم كثر من ذي
قبل ، فالصراع الذي كان يدور بين الدول ، انما هو صراع -
في الوقت نفسه - بين المبادئ والمذاهب الاجتماعية والسياسية
التي تقوم عليها تلك الدول المشتركة ، وانك لتلمح الفوائد التي
قيلت في تأييد بريطانيا مثلا تنطوى على الايمان بالديموقراطية ،
والتنديد بالمذهب السياسي الذي تقوم عليه دول المحور ، وقد
تكون البسالة والبطولة التي ظهرت في دفاع هذه الامة عن
نفسها حافزا للشعراء ان يمجّدوا تلك المواقف ، وربما كان
كره بعض الناس للفاشية ، وما تنطوى عليه من قسوة وعنف ، هو
الذي جعل الابصار تتجه نحو الجبهة الاخرى ، معلقة عليها
الامال في تحطيم هذا الجهاز العسكري ، الذي بعث الرعب
والقلق في كل مكان ، ففي قصيدة " سواستبول " (٢) للجواهري
يحيى الشاعر هذه المدينة في موقفها فائلا :

(١) حصاد السجن ص ٢٨

(٢) ديوان الجواهري (ط ٣) ٨٠ / ١

يا سواسبول سلام لا نيل مجدك زام
لاعرا السيف حساما ذرب الحد انثلام ا

ثم يستعرض الشاعر صور الاشلاء من الضحايا مبعثرة في كل
بقعة ، مشبها اياها بالاوسمة تزين صدر تلك الارض :
كل شبر فوقه من جنث القتلى وسام

وترى الشاعر تأخذ الدهشة من تلك البسالة والاقدام ، اللذين
ظهرا في الدفاع عن هذه المدينة ، وانه لبتساءل كيف يتسابق
اهلها الى الموت ، ويزدحمون عليه ، كأنهم يتسابقون للحصول
على بعض اللذات ، وتلمس مثل هذا المعنى في عدد من ابیات
الشعر العربي ، حين يصف الشعراء مدوحهم بان عناقهم للسيوف
اشد شوقا لديهم من عناق الغيد الحسان :

اعلى الذبح استباق اعلى الموت ازدحام
اهي سوق لمباراة اللذات تقام
الردى والمجد والاشلاء والصلب ركام

ثم ينتقل الى وصف المدينة بانها قلعة شرقية ، وقد وقفت باسمه
حين ادلهمت حولها الخطوب وكوارث الحرب ، وانها لتعيد الى
الدهر الهرم شبابه اذا خطرت بباله ، وهي صورة احسن الشاعر
في عرضها :

قلعة شرقية في كربة الارض ابتسام
يهرم الدهر فان عنت له فهو غلام

وانك لتلمس هذا المعاني في قصيدته الاخرى

”ستالينغراد“ (١) بل انك تجد فيها حماسة اشد ، واتجاهها عاطفيا وفكريا اقوى . اما الشيخ علي الشرقي فانه في قصيدته ”مداعبة هر“ (٢) يبدأ بالسخرية من هتلر ، متخذا الجنس وسيلة له في مطلع القصيدة ، ثم يذكره لا بالهزائم التي لحقت به في الاكرين والقفقاس وروسيا و” ويعرض بنظامه الجديد الذي كان يدعو له ، فيما لو قدر لالمانيا ان تحرز النصر في تلك الحرب .

قد احتفلنا بالنظام الجديد هيا ودشن حفلة الافتتاح

وفي قصيدة عنوانها ”القبلة الذرية“ (٣) للشاعر نفسه ، يستعرض عهدين ، الاول ، قد اشرقت انواره ، وامت مباهجه ، وامتلا فيه الكون بالسحر والفتون ، وعهد اخر ، يملؤه الرعب والخوف ، اثاره تحطيم الذرة واستخدامها سلافا في الحرب ، ولنسمع الشاعر ان يقول :

اذرة ينسف الدنيا تفككها تطوى وتجرف لم تبق ولم تذر
كانما شقر لفت بعاصفة هوجاء لواحاة بالشر والشر

واثرت الازمة الاقتصادية في حياة الناس ، ولنسمع وصفا لها من

(١) ديوان الجواهرى ٦٧/٢

(٢) ديوان عواطف وعواصف ص ٢٢٢

(٣) ديوان عواطف وعواصف ص ١٨٥

قصيدة عنوانها "حلف ثلاثي" (١) للشاعر محمود الملاح :

جوع وعري في البلاد تآلفا	وتحالفا والبرد من كانون
حلف ثلاثي يحاكي محسورا	يمتد من روما الى برلين
ويظل متدا الى طوكيو التي	فيها مباءة عسكر الطاعون
كالنسر لكن شل منه يعينه	فارتد اعسر بعد شل يمين

وتقرأ مثل هذه المعاني في قصيدة اخرى للشاعر نفسه عنوانها
"عز الرغبة" (٢)

ومن الادب الكردي قصيدة يسخر فيها الشاعر من هتلر
وقد ترجمت تحت عنوان "من الادب الكردي" ، وفيها يلتمس
القارئ وثبات عاطفية ، وصورا من الاساطير المحلية ، وها هي
القصيدة :

اذا عمت الهموم ، وفار بركان الغضب ، ووجد الشعب بان الطريق
قد سدّ في وجهه ،
واذا ما عرف عدوه وشعر بالظلم والحيف ، اتحد افراده فيما
بينهم بعيدهم وقريبهم ،

ان هذا اليوم هو اليوم الموعود ، يوم الكريهة ، اذ يبعث
الشعب كلما هزم في مثل هذا اليوم .
ان الطيارات والمدافع لا تؤخر يوم البعث ولا الدبابات والرشاشات

(١) مجلة "المجلة" ١٨/١٩٤٢

(٢) مجلة "المجلة" ١٧/١٩٤٢

تحول دون حلوله ،
من يستطيع ان يصمد امام غضب الشعب ؟ فتذكر ايها البليد
المغرور المتنعم (هتلر)
ان مطرقة العم "كارون" (١) بثقلها قد هشتت رأس "بيومر"
وكذكت عرشه .

وفي ديوان السيد محمود الحبوبي مجموعة من القصائد
نظمت في فترة الحرب ، وهي جمعتها ، تتجه الى الناحية الانسانية ،
ففي قصيدته "ماذا في البحار" (٢) يصف احوال حرب البحر ، وما
يلقاه المتحاربون فيها من هول وموت . وفي قصيدة "الانسانية
تستغيث" (٣) ينكر على تلك الامة التي تبغى من وراء حياتها
فناء العالم ، وينعى على اوربا انها خالفت نصائح المسيح فسي
دعوته الى السلم ، وفي قصيدته "العالم بين النار والدمار" (٤)
ينعى على قادة الشعوب توجيههم شعوبهم الى الحرب ونسي
قصيدة "الحرب تحتضر" يصف فجائعها ، ثم يستبشر بقرب خاتمتها .
وحين ينعقد مؤتمر السلام في (سن فرنسكو) (٥) ،

(١) في اسطورة فارسية ان العم "كارون" نار على السلطان الغاشم
"بيومر" ووراء افراد الشعب ، فقتله وجلس على العرش ،
وحكم بين الناس بالعدل في بلاد فارس .

(٢) ديوان محمود الحبوبي ص ١٠٨

(٣) ديوان محمود الحبوبي ص ٩٦

(٤) ديوان محمود الحبوبي ص ١٠٢

(٥) ديوان محمود الحبوبي ص ١٠٦

يخاطب الشاعر اعضاءه الى ان يعيدوا الامور الى نصابها ، وان
ياسوا جراحات الشعوب ، ويتخذوا من الماضي عبرا :

اقطاب مؤتمر السلام ردوا الحياة الى النظم
ردوا بخبرتكم جراحات الشعوب الى التثام
سادت بها الفوضى وساء الوضع عاما بعد عام
خطوا المناهج في (فرنسكو) وسيروا للاسام
وخذوا من الماضي اعتبارا تبلغوا اقصى المرام

وهكذا نرى الشعر العراقي يتخذ وجهات متعددة ، ويتأثر تأثرا
ملموسا باحداث الحرب ووقائعها ، ولا يقف منها ، ما وقفه
الشعراء في العصور العربية القديمة ، بل يتجه اتجاهات جديدة ،
تواكب الفكر الانساني ، وابرز هذه الاتجاهات الروح الانسانية
التي لا ترى في الحرب الا البؤس والدمار ، والروح الوطنية
التي تبغى حرية الوطن واستقلاله ، كما رأينا تأثره ببعض
المذاهب الاجتماعية الحديثة ، ولكن بناء القصيدة لم يطرأ
عليه التغير الملموس ، الا بعد ان وضعت الحرب اوزارها كما
سنرى .

الفصل الرابع

بعد الحرب

انقضت الحرب العالمية الثانية ، فاحس الناس بكابوس ثقل قد رفع عنهم ، فان ما وقع فيها من ويلات وكوارث ، وما اصاب الحياة من عسر ، وما وضع على الفكر من قيود ، جعلت الناس يتطلعون الى يوم يسود فيه السلم ، وينطلق الفكر من عقالسه .

ان اثر الحرب في الحياة الفكرية اليوم يختلف عن اثرها بالامس ، حين كانت تدور رحاها في نطاق ضيق مـمن الارض ، وبين عدد محدود من الناس ، فلا تلوح لهم الا اشباح الهزيمة او النصر ولا ينال الاذى الا اولئك الذين يخوضون غمارها ، وقد تبدلت الحال بعد ان تقدمت وسائل التدمير ، واتسع نطاق الحرب ، واخذ يشمل المدنيين والعسكريين على السواء ، ومن هنا ظهرت النزعة الانسانية التي تدعو الى وضع حد لهذه الويلات ، وقد اشرنا الى ظهورها في الشعر العراقي في الفصل السابق .

ولئن كانت الحرب قد انتهت فان آثارها بقيت في نواح متعددة من الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، ولكن هذه الآثار لم تنكشف بوضوح وجلاء الا بعد ان سكنت اصوات المدافع وهدأ ازير الطائرات ، فاصبحنا نلمس تحولات واضحة في الاتجاهات الفكرية عامة ، فقد كان انتصار الديموقراطيات ،

نصرا للمذاهب الديموقراطية ، وبالعكس فقد زالت بعض المذاهب السياسية من عالم التطبيق ، للمزينة التي منيت بها الدول التي قامت عليها نظمها السياسية ، وقد كان لذلك كله اثر واضح في الشعر السياسي .

ومن الناحية الفنية اصبحنا نلاحظ تطورات واضحة في بناء القصيدة واسلوبها ومعانيها ، فقد انتشر الشعر الحر ، والشعر المرسل ، وطغت الرمزية ، وهذه الظواهر ان وجدت في آثار فريق من الادباء العرب سواء كان ذلك في لبنان او المهجر او مصر منذ اكثر من ربع قرن فانها لم تظهر بوضوح ، وتنتشر على نطاق واسع في العراق الا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وقد استخدمت هذه الخصائص الفنية في الشعر السياسي كما استخدمت في غيره ، وسوف نتحدث عن الاتجاه الرمزي في الشعر السياسي ، لكثرة ما نظم فيه ، اما الاساليب فان اتصالها بالوجهة الفنية اقوى ، وها نحن نتحدث عن تلك التيارات والاحداث :

١ - الرمزية في الشعر السياسي

لئن كانت الرمزية قد ظهرت في الادب العربي منذ بضعة قرون لدى الشعراء المتصوفين ، فقد عادت الى الظهور مرة اخرى في الشعر العربي ، في ايامنا هذه ، وانتقلت الى الشعر العراقي عن طريق لبنان الذي تأثر ادباؤه بقيادة هذا المذهب من الفرنسيين ، وقد اتسع نطاقها في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية ، ولعل النفوس ارادت الانطلاق بعد الرقابة

الشديدة التي خلقها الحرب ، وما لابسها من كبت وحرمان ،
بالإضافة الى هذه النزعة التي طفت على الشرق .

وانك لتقرأ آثار الشعراء من الشباب فترى النزعة
الرمزية تطفئ على كثير منه ، ولعلهم قد اعتبروا هذا اللون
من الشعر ضربا من التجديد ، واستطاعوا حين ركبوا متنسه ،
ان يتخلصوا مما تعارف عليه الشعراء ، من اوزان وقواف ، في
نظرهم قيود له ، ومن الجدير بالذكر ، ان معظم اولئك الذين
اتجهوا نحو الشعر الرمزي ، لم يلمّوا باصوله ، انما دفعهم اليه
حب الاحتذاء والتقليد ، واذا كان فريق منهم قد انطلق في
اجواء نفسية شاسعة المدى تتصل بكل ما يخالج النفس من عواطف
واهواء ، فان فريقا اخر قد اتجه الى نقد ومعالجة الاوضاع
السياسية والاجتماعية .

وليس يعنينا من الشعر الرمزي الا ذلك اللون الذي
يتصل في الاتجاهات السياسية فاصبحنا نرى ميلا الى الرمز في
الشعر السياسي ، حتى بين شعراء الجيل الماضي ، من لم
يألفوه من قبل .

ففي قصيدة عنوانها "حنين" (١) للجواهري ، يرمز
الشاعر الى المستقبل السعيد بشبح ، تتراعى اطيافه مريحة ، وينبعث
النور منه ، وتظهر عليه علامات الرضى والسكينة ، وهو الذي يبعث

الامل في النفس ، حين تدلهم الخطوب ، فيشد القلب بعزيمته ،
ويكفكف الدمع ببسماته .

ولنستمع الى بعض ابيات هذه القصيدة التي يقول الشاعر
عنها انها نظمت في اواخر عام ١٩٤٩ لتكون ناتحة الديوان :

أحس إلى شبح يلوح
أرى الشمس تشرق من وجهه
رضي السمات كأن الضمير
بعيني أطرافه تفرح
وما بين اثوابه تجنح
على وجهه القايطح

يداعبني ان تجد الخطوب فامرح منها كما يمزح
بشد جناني يعزم ————— اته ودمعي ببسماته يمسح

وتقرأ مقدمة الديوان التي جعل عنوانها "على قارعة الطريق"
فتراه يتحدث عن نفسه حديثا رمزيا ، ثم تنظر صورة الشاعر في
الصفحة الاولى فتري انها مستوحاة من الفن الرمزي ، ولكك
حين تفتش عن هذه الرمزية في ديوانه الذي طبع سنة ١٩٢٨
والاخر الذي طبع سنة ١٩٣٥ ، فانك لا تجد لها اثرا ، ولعل
لاتصال الشاعر بالثقافة اللبنانية وسفره الى فرنسا ، قد جعله
يتأثر بهذا اللون من الادب ويتجه اليه في اخريات عهده ،
وتقرأ قصائد الشرقي فتري كثيرا منها رمز ، لكن اثر الادب
الفارسي واضح فيه كل الوضوح .

وتقرأ قصيدة "حفار القبور" ، وهي إحدى القصائد الطوال للشاعر بدر شاكر السياب يرمز الى مثيرى الحروب ، بحفار القبور الذى يعيش على دفن الاموات ، وكل كارثة تنزل

بالآخرين انما هي احدى مسرّاته ، فهو يترقب حوادث الموت بفارغ
الصبر ليقيم أود حياته عليها . وهذه المعاني مألوفة في اكثر
الموضوعات التي كتبت في الدعوة الى السلم ونبذ الحرب من
ان المطامع هي السبب الاول في اثارة الحروب . والشاعر في
"ملحمته" هذه كما اسماها لم يعد ان استعار من تلك المعاني
موضوعا لقصته ، فهو يلقي على لسان بطل القصة من القول ما ينم
عن تعطشه للحرب لان فيها حياته :

ما زلت اسمع بالحروب فأبى ابن هي الحروب ؟
ابن السنايك والقذائف والضحايا في الدروب ؟
لا ظل ادفنها وادفنها فلا تسع الصحارى

ثم يتمنى ان تنتشر الحرب في كل مكان :

ما زلت اسمع بالحروب فما لآعين موقديها ؟
لا تستقر على قرانا ؟ ليت عيني تلتقيها

وبعدها يعرض الدوافع التي تحدوه الى ان يتمنى ونوع الحرب :

واخيبتاه !! الن اعيش بغير موت الاخرين ؟
والطيبات من الرغيف الى النساء الى البنين
هي منة الموتى علي ، فكيف ارفق بالانعام
فلتمطرنهم القذائف بالحديد وبالضرام !

ونلتبس الرمزية في الشعر السياسي لدى شاعرين اخرين هما عبد
الوهاب البياتي وكاظم السماوي ، اما الاول فقد اخرج ديوانين
احدهما " ملائكة وشياطين " والثاني " اباريق مهشمة " . وهو ان

كان يلتزم الوزن والقافية في بعض قصائده فانه يتحلل من هذه القيود في معظم تلك القصائد ، اما الموضوعات التي ادار عليها الكلام ، فاغلبها يتصل بالحرية ، والمستقبل الباسم ، والحاضر الشقي الذي يتخذ منه صورا جمّة ، ونجتزئ بالاشارة الى احدى قصائده التي عنوانها " طريق الحرية " (١)

عبر الصحارى الموحشات ترن اجراس الحياة
في الليل معلنة ، " بان عدوها المقنوت مات "
والى المدائن والقرى المتناثرات
عبر الصحارى الموحشات

ينسل ضوء الفجر اقوى ٠٠٠ من بنابيع الحياة
وتهب اطياف العيد من السبسات
نحن العراة
بالامس سخرنا الطغاة
لبناء هذى السخريات

ويمعن الشاعر في السير على هذا المنوال مردّدا الاصوات المنطلقة
من كل مكان ، معبرة عن آلامها وما يلحقها من ظلم وعدوان ،
حتى تشور العاصفة ، وتندلع الثورة ، وتنطلق الاجراس معلنة عهد
الحرية ، وزوال الطغيان .

(١) اباريق مهشمة ص ٣٤

اما كاظم السماوي فنلح آثار الرمزية في مجموعته " اغاني
القائلة " و " الحرب والسلم " اذ يتطلع الى مستقبل باسم ، ينتشر
فيه العدل وتعم المساواة ، كما ينعى على مثيرى الحرب دعواتهم
اليها ، ويصفهم بالسفاكين حيننا وللصوص حيننا اخر ، ونحو هذه
من الاوصاف ، ولا ينسى ان يعرض صوراً لكوارث الحرب ،
والويلات التي يتعرض لها فيها ، فهذه جموع العائدين يجرون
سيقانهم من التعب والهزال ، وجموع المستقبلين يسألونهم عن
ذويهم ، واين عصفت بهم الايام ، كما يصف اولئك العاطلين ، وقد
جلسوا على الرصيف يستدرون الالكف ، ويسألون الناس ما بأيديهم
بعد ان وضعت الحرب اوزارها .

ومن هنا هذا المنحى الشاعر كاظم جواد ، وله قصائد
منشورة في بعض الصحف والمجلات ، ولما تجمع بعد ، وهو لا
يعن في الرمزية امعانا تنظمس معه المعاني التي تخالجه ، بل
يميل الى الوضوح ، ويدبر اكثر قصائده على الاحداث السياسية
والمشاكل الاجتماعية القائمة في الشرق ، ولنقتطف بعض الابيات من
قصيدته " معركة الحرية " (١)

وديبب ناطور ونجم كان يخفق في السماء
ما زلت احلم بالكفاح بذلك الصوت العنيد
صوت الجموع الهائجت تخوض معركة الحياة
بصياح مجروح يحرق في الوجوه ويستغيث

(١) من مجموعة الخطبة

ولعل الجواهري ، كان رائد هؤلاء الشعراء الرمزيين في المعاني التي ادارها عن احوال الحرب والمثيرين لها ، وعن المستقبل الذي ستزول فيه الحروب ، فقد افاض القول في هذه المعاني التي ضمنها قصيدته "عالم الغد" (١) وجعلها شبيهة بالمحملة الشعرية .

وقد اتجهت نازك الملائكة اتجاها انشائيا في قصيدتها "لنكن اصدقاء" (٢) و"الكوليرا" (٣) وانطلقت الى التأمل الذاتي في معظم قصائدها في ديوانها "عاشقة الليل" و"شظايا ورماد" فغلبت عليها النزعة الرمزية ولكنها لم تمس الموضوعات السياسية الا نادرا .

٢ - فترة من القلق

لئن كنا نلمس تحولات ملحوظة في اتجاهات الادب العربي ، في اعقاب الحرب العالمية الاولى وقد ظهرت تلك التحولات في اغراض الشعر ومعانيه ، اذ اتسع نطاق الشعر السياسي لا سيما في العراق ، واصبحت الوطنية والتغني ابرز سماته في هذه الفترة ، فان تحولات اخرى طرأت على الشعر بعد الحرب الثانية ، فاتجه الشعراء الى الاحداث يستلهمونها ، وإلى الموضوعات الاجتماعية ، المنبثقة عن المذاهب الفلسفية يعالجونها ، كما طرأت تغييرات فنية

(١) مجلة الطريق مجلد ٢ ج ٢ ، ومجلد ٣ ج ١

(٢) شظايا ورماد ص ١٢١

(٣) شظايا ورماد ص ١٢٥

في الشعر .

وفي هذه الفترة وقعت بعض الاحداث السياسية التي انعكست آثارها في الشعر . وكان من بين تلك الاحداث تقديم مشروع معاهدة (Portsmouth) (١) الى البرلمان سنة ١٩٤٨ ، والمظاهرات التي قامت حولها ، وقد وقع فيها عدد من الضحايا ووقف الشعراء يسجلون هذه الحادثة ويستلهمون وقائعها ، وان من يطالع الصحف في الفترة التي اعقبت تلك الحادثة يجد فيها عددا كبيرا من القصائد التي تدور حول هذه الحركة ، ولعلّ الشاعر عدنان الراوي أول من اتخذ منها ملحمة تتألف من خمسة فصول ، وعنوانها "النشيد الاحمر" والبك ابياتا منها :

قيل لي ان لك اليوم بلادا ووطن
هو ملك للمقيمين به طول الزمــــن
فاذا بالوطن (المزعوم) تطويه الاحن
واذا هو اليوم ملك لغريب موتمن
اجنبي من بني سكسون يسقيه المحن

وتروعك الروح النائرة التي ينطوى عليها هذا الديوان ، والشاعر يعلن هذه الثورة في مقدمته ان يقول " ... يقولون لي لماذا

Longrigg, pp. 44-351

(١) انظر تفاصيلها في

Khadduri, pp. 72-268

"العراق المعاصر" للدكتور صالح زكي و "سحابة بورتسموث"

لصدر الدين شرف الدين .

يتجه هذا الشاب بشعره هذا الاتجاه ، فلا نقرأ له من الشعر الا
المآسي والنقمة والاندفاع واقول انا لهؤلاء ان حياتي مأساة ...
وان روحي ناقمة ... وان قلبي لا يهدأ ... فاعطوني وطننا
حرا مستقلا ، اسكت انا عن المطالبة بالحرية والاستقلال ، واجعلوا
حياة الناس في بلادهم سعيدة هانئة ، اسمعكم انا شعر الربيع
والورد المبتسم ، ونظفوا بلادكم من الظلم والجوع انشد انا
لكم الحان الحب الذي لا يموت ... فانا جزء من هذا الوطن * . (١)

ولا نستطيع ان نقرأ بهذه الحادثة ، دون ان يستوقفنا
ما نظم فيها الجواهري ، وكان اخوه واحدا من الضحايا ، ومن
هنا امتلأت نفسه حزنا واسى ، لذلك كانت القصائد التي نظمها
في هذه الفترة ، رثاء لاختيه ودعوة الى الثورة وتحطيم الاوضاع ،
وحين نقرأ هذه القصائد تحس بالوعيد والتهديد الذي يسوقه
الشاعر ، والزراية بالاقامة على الذل الذي لا يفضل الا الموت ،
ولنستمع الى ابيات من قصيدته " اخي جعفر " (٢)

اتعلم ان جراح الشهيد	تظل عن النار تستفهم
اتعلم ان جراح الشهيد	من الجوع تمضم ما تلهم
تمض دما ثم تبغى دما	وتبقى تلح وتستطعم
فقل للمقيم على ذلّه	هجيننا يسخر او يلجم

(١) النشيد الاحمر - المقدمة

(٢) ديوان الجواهري ١ / ١٣٠

تفّحم لعنت ازيز الرصاص وجرب من الحظ ما يقسم
وخضها كما خاضها الاسبقون وثن بما افتتح الاقدم
فاما الى حيث تبدو الحيلة لعينيك مكرمة تغنم
واما الى جدت لم يسكن ليفضله بيتك المظلم

ونلج هذه الثورة نفسها في قصيدته "يوم الشهيد" (١) وهي
تقع في نحو من مائتي بيت ، وحين تقام حفلة تكريم للدكتور هاشم
الوترى ، (٢) لا ينسى ان يتخذ منها وسيلة للاتجاه الى الغرض
نفسه ولكن السكينة تعاود الشاعر في رثاء "قيس" (٣) احد الضحايا
فيتحول عن الدعوة للثورة الى وصف الشقاء الذي حلّ باهله
وبوالديه .

اما الاتجاه الاخر فهو انعكاس احداث فلسطين في الشعر
العراقي ، وقد مرت تلك الاحداث بدورين متميزين ، الاول منهما
يوم كانت تتخذ التدابير لاقامة وطن قومي لليهود ، تلك الخطط
التي رسمت منذ عهد "هرتزل" والبارون هرش ، ولكن الحياة
الفكرية والادبية في العالم العربي ، آنذاك ، كانت في دور اقرب
ما يكون الى السبات ، وكانت مصر يشغلها صراعها مع بريطانيا ،
اما العراق وسورية ولبنان فقد كانت في ظل الدولة العثمانية ،

(١) ديوان الجواهري ١١٠/٢

(٢) قصيدة "الى الدكتور هاشم الوترى" من ديوان الجواهري

١٢/٢

(٣) ديوان الجواهري ٣١/٢

فلم يتيقظ العرب ، الا عندما اخذت الامور طورا جدّيا في الحرب العالمية الاولى ، وتبدلت الرسائل والعهود التي تنص على تأييد اقامة دولة يهودية ، وليس يعنينا ان ندخل في تفاصيل الموضوع ، فقد استوعب الكتاب جوانبه بصورة تفصيلية ، وتعرّضوا لحقوق العرب المهدورة ، ومنذ ذلك العهد بدأت الاضطرابات تفجر ، وبدأ الوعي القومي يستيقظ ، واحسر العرب ان جزءا من وطنهم يتهدده الخطر ، ومن هنا كانت تنعكس آثار الاحداث التي تقع هناك في الشعر ، الذي كان اغلبه يدور حول استنهاض الهمم وبث الحماسة في النفوس للدفاع عن الحق العربي .

ومن اولى القصائد التي نظمت حول فلسطين قصيدة للرصافي عنوانها " الى هربر صموئيل " (١) وقدم لها بقوله " الفى يهودا محاضرة تاريخية ، وذكر فيها مدينة العرب في الغرب والشرق ، ولما اتمها قام هربر صموئيل (٢) السندوب السامي من قبل انجلتره في فلسطين ، والقى على القوم خطابا مؤافقا وعدهم فيه مواعد سياسية سربها الحاضرون الذين كانوا

(١) ديوان الرصافي ص ٤٣١

(٢) صموئيل " هذا كان قد ارسل " مندوبا ساميا الى فلسطين

ليشرع في انشاء الوطن القومي لليهود ، ولم تكن هذه

المهمة سهلة بسبب استياء سكان العرب ونفوذهم "

(النتائج السياسية للحرب العظمى (الترجمة العربية)

ص ١٨٩)

قد حضروا بدعوة من راغب بك النشاشيبي رئيس بلدية القدس* (١)
وقد قال في تلك القصيدة :

خطاب يهودا قد دعانا الى الفكر وذكرنا ما نحن منه على ذكر
ومجد ما للعرب في الغرب من يد وماليني العباس في الشرق من فخر

ولكنك تلح في ثنايا القصيدة اشارات الى الوثام والتقارب ، ولم تغب
عن خاطره فكرة الجلاء ، والخطر الذي احدث بالعرب فقال :

ولكننا نخشى الجلاء ونتقى سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر
وهل تثبت الايام اركان دولة اذا لم تكن بالعدل مشدودة الازر (٢)

ولم نسمع للرصافي بعد هذه القصيدة ذكرا لقضية فلسطين ، كما ان
اصداؤها كانت خافتة في الشعر العراقي آنذاك ، فان فتشت عن
القصائد التي اتخذت منها موضوعا ، فانك لا تعثر الا على عدد
قليل ، يتسم بالاعتدال في لهجته ، ولا تلح فيه تلك الثورة التي
انطوى عليها فيما بعد .

وحين نقرأ الشعر الذي يدور حول فلسطين ، نرى انه
يختلف حسب الادوار التي مر بها فقبل ان يصبح التقسيم في حكم

(١) المصدر السابق

(٢) وقد ردّ الشاعر وديع البستاني على قصيدة الرصافي باخرى
على الوزن والقافية نفسها ، مفندا آراءه ومنها :

خطاب يهودا ام عجاب من السحر؟ وقول الرصافي ام كذاب من الشعر؟
وحقك ما ادرى وادري ويا لها مراوحة بين الرصافة والجسر

(ديوان الفلسطينيين ١٠٤ - ١٠٦)

الواقع ، كان هذا الشعر يتجه الى الوعيد والتهديد ، والدعوة الى المحافظة على حقوق العرب في الارض المقدسة ، واستعادة الذكريات الماضية ، واتخاذ الدين وسيلة لاثارة الحماسة في النفوس ، واليك قصيدة للزهاوي عنوانها " الغرب والشرق " (١) ولعلها القصيدة الوحيدة في ديوانه التي يتعرض فيها لقضية فلسطين ، لان الشاعر لم يدرك الامراحلها الاولى :

قد طال للغرب فوق الارض سلطان وطال في الشرق اقرار وانحان
الغرب فيه نشاط خلف حاجته يسعى لبلغها والشرق كسلان
الغرب مستلب والشرق مهتضم والغرب منتبه والشرق وسنان
وبعد ان يمهّد الشاعر لغرضه الاصلي الذي يريد ان ينتقل اليه ،
بعد ان يمهّد له بهذا الوصف لمظالم الغرب المنصبة على الشرق ،
تراه يتحول الى النهي عن ظلم العرب وعدم اغاظتهم :

لا تظلموا عربيا في موطنه فانه مثلكم يا قوم انسان
لقد سلا كل محروب كوارنه وليس للعربي اليوم سلوان
سبعون مليون ممن جدهم عرب عليك في الشرق يا " بلفور " غضبان

ورغم هذا الغضب كله ، ورغم اعتداء الشرق على الغرب فانك لا
تجد تلك الثورة الجامحة في هذه القصيدة ، كما ستشاهده في كثير
من القصائد التي نظمت بعد وقوع المأساة .

(١) ديوان الاوشال ص ٤٦ ، وانظر مجموعة الفلسطينية ،
لجماعة من شعراء العراق

وهذا شاعر اخر هو خضر الطائي ، يلقي قصيدته قبل ان تقوم الحرب العالمية الثانية فتري فيها ما لا تراه فيما قبلها من التهديد والوعيد :

فلسطين مهلا ان للعرب غصبة	لها في الاماني ما يجيش وراها
ولا بد من يوم اغر محجل	يعيد الى تلك الرؤوس نهاها
سنودعها الايام منا امانة	برن مع الايام رجيع صداها (١)

ثم نقرا قصائد اخرى فتجد فيها من السخرية والتهكم بالعدو ، فيخيل اليك انه لن يستطيع ان يصنع شيئا ، وسيرتد على عقبه خاسئا ، ولهذه الفكرة اصول تاريخية ودينية ، ولنستمع الى صداها في قصيدة للشاعر عبد الستار القرغولي :

بني صهيون ما كنا لنخشى	خصومتكم وخبركم الاخس
وانتم امة شلت يداها	والسنها تلوث فهي خرس
اصهيوني يغلب يعربيا	وهل يقتاد اسد الغاب تيمس (٢)

وترى الامل باسما ، في ان الظلام الذي لف العرب في هذه البقعة سينجلي وسينكشف الصبح ، ويلوح الفرج ، في انقاذ فلسطين من العدو :

(١) من مجموعة شعرية للشاعر خضر الطائي ، وقد انشدت في ليلة الاسراء سنة ١٩٣٦

(٢) من قصيدة القاها الشاعر في نادي المشنى ببغداد سنة

ابشرى ان الصباح المرتجى يا فلسطين اراه ينجلى
كيف لم ترتقي من فرج وبنوك الصيد حرز الموئل (١)

ولكن هذه الامل قد تبددت شعاعا ، في الشعر ، عند ما انتقل العرب من هذا الدور الى دور اخر ، رأوا فيه المأساة ماثلة امامهم ، ذلك هو الدور الثاني الذي بدأ سنة ١٩٤٧ ، حين اقرت هيئة الامم المتحدة مشروع التقسيم وخاضت جيوش الدول العربية الحرب ضد العدو ، وانتهت بالحالة التي نراها اليوم . وقد احدثت المأساة آثارا بليغة في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية ، فظهرت مشكلة اللاجئين ، وهبت الشعوب العربية تطالب حكوماتها باصلاح الاوضاع السياسية ، واتجه الكتاب والفكرون ، يحللون الكارثة ، ويعينون اسبابها وعواملها ، ويتبينون النتائج المترتبة عليها ، كل ذلك على ضوء الاساليب العلمية ، بعد ان كانت تعالج - في الغالب - ارتجالا وعلى اسس قد تكون بعيدة عن المنطق العلمي .

وفي هذا الدور تغيرت اتجاهات الشعر حيال المأساة ، فبعد ان كان الشعراء يتغنون بالمجد التليد والعهود السالفة ، وبعد ان كان الشعر يدور على التهديد والوعيد والسخرية من العدو تحول الى السخرية من هذه الامة التي لم تستطع ان تحافظ على اجزائها ، وطغت روح اليأس والخيبة ، فصار الشعراء لا يكثرثون لهذا الماضي طالما استلهموه ، في بحث العزّة

(١) من قصيدة للثرى في مجلة الرسالة ٢٨٢ / ١٩٣٨

القومية ، والحمية الوطنية في النفوس ، ولنستمع لمثل هذه الاصدااء
في قصيدة عنوانها "العبد السيد" (١) للشاعر عدنان الراوى نظمها
على لسان اللاجئين :

لقد كان لنا ماضٍ وكما اهل اعراض
فصناها بارباضٍ وبحناها لاغراض
وصرنا تحت انقاض
فابن العز والمجد
ولي قيد
انا العبد

وقومي من هم قومي اباء الذل والضميم
لقد كانوا ٠٠٠ وبالرغم اصاخوا اليوم للظلم
وناقوا لذة السلم

وقام الشعراء ينددون بالحكومات العربية ، كما قاموا يسخرون من
الجامعة العربية وينعون عليها اهمالها واضاعتها الوقت في اعمال
لا تجدى . والاتهام الذى وجه الى الحكومات يتعلق بقبولها
الهدنة الاولى ، فهي ، على رأى الكثيرين قد اضاعت فرصة النصر
للعرب ، وهيات للعدو من الوقت ما استطاع به ان ينظم قسواء ،
ويقوم بالحرب مرة اخرى ، استطاع ان يحقق فيها امانيه ، ولنقرأ
بيتين من قصيدة "على ظلال فلسطين" (٢)

(١) ديوان من العراق ص ٧٧

(٢) جريدة الاستقلال ١٩٤٩/٧٤٤ ، وانظر مثل هذا المعنى في

قصيدة "امين الجامعة العربية" رباعيات الحبوي ص ٤٧

حكومات تجيد صناعات الاقوال والخطب
وجامعة تضيع الوقت في اللعب

ومن قصيدة عنوانها "بعد النكبة" (١) للشاعر خالد الشواف :

وهو "لا" بنوا الاعمام لا وطن البغي مزقهم مستأسدا مزقا
قل للذين تنادوا للحمى فاذا ما اوشك النصر يدنو اصبحتوا فرقا
مثلتموا في عراض المجد مهزلة امسى يقهقه منها العار مختنفا
احلتموا الظفر الداني مهادنة خرقاء ليس سواكم من بها ارتبعا

ووقعت على انجلترا وامريكا مسوءولية الكارثة لانهما اعانتا على
قيام المخلوق الجديد ، وبذلك اضيعت حقوق العرب فقام الشعراء
ينعتون على حكوماتهم تعلقها بهاتين الدولتين :

شدوا بذيل غراب امة ظلمت تطيران طارا وتهوى اذا وقعوا
وخوفوها "بدب" سوف يأكلها في حين (تسعون عاما) تأكل السبعاء
وضيقوا افق الدنيا باعينها بما استجدوه من بغي وما ابتدعوا
واودعوا للغلاظ من زبانية حمقى حراسة قرطاس لهم وضعوا
وذاك معناه ان يبيعوا كرامتكم بيع العبيد بتشريع لكم شرعا (٢)

وعلى هذا المنوال راح الشعراء يمعنون في التنديد بحكوماتهم
التي ارتضت ان تنهج على ما ترسمه السياسة البريطانية الاميركية ،
ونعوا عليها هذا الاستخذاء والخضوع ، وفي ذلك يقول شاعر منهم :

(١) من مجموعة خطبة للشاعر

(٢) ديوان الجواهري ٥ / ٢

ايحسب اذئاب الحليفة اننا
وراحوا يسومون البلاد رخيصة
"ترومان" ان شمريت للظلم ساعدا
ومن قصيدة انشودة "الحق" :

"ياترومان" ما لقيت بهذا
ان شعبا تسوسه سوف يلقي
الفعل الا العمى والخسارا
بك خزيا وسوف يلقي بوارا (٢)

اما حديث اللاجئيين ، فقد كان موضوعا لعدد من القصائد ، اتخذ
معظمها اسلوبا قصصيا يدور على المآسي التي وقعت لهؤلاء
المحروبيين ، وعلى الفقر والحرمان الذي اوردهم من الموارد ما
لا يتلاءم والروح الانسانية .

واليك احدى هذه القصائد وقد القى الشاعر فيها الحديث
على لسان احد هؤلاء اللاجئيين :

اذلت قواى الجراح
واوهن قلبي المعذب
غريب بعيد الديار
احن حنين الطيور
واشدو ولكن الى
تهريت من حاضر
ولا شيء الا بقايا
... زمان به المستحيل
وعض الاذى ارجلي
عبا الاس المعول
افتش عن منزل لي
الى وكري الاعزل
ضمير الدجى المحل
لاشقى بمستقبل
جراح فقد كان لي
لجناح الى مالملي

(١) للشيخ احمد الجزائرى (مجلة العرفان) ج ٥ سنة ١٩٤٨

(٢) من مجموعة خطبة للشاعر خضر الطائي

جراحا على المنجل

ايا نفس سال الربيع

على ليلي الاليل

سابقى اناجي الشموع

وان تعبت أنملي

واومي* للذكريات

نقد ضل عن هيكلي (١)

واسأل اين الصباح

وما ينم عن ذلك التأثير العميق مجموعة شعرية لعدنان الراوى جعل اكثرها حول قضية فلسطين ، قبل العاصفة ، وحين وقعت ، وما حدث بعدها ، وقبل ان يعرض قصائده يصف العواطف التي خالجه ، في مقدمته لهذه المجموعة الشعرية التي اطلق عليها " من العراق " :

واليوم وانا اكتب مقدمة هذا الكتاب ، احس بالالم الدفين ينطلق من كل جوانب قلبي ، واحس بسحابة كثيفة من الخذلان والياس تسد علي جميع منابع النور ومنايت الامل وبخيّل الي بان هذه السحابة لن تنقشع كسحاب الصيف ، وفي هذا الجو النفسي ذاته وهذا الاحساس العاطفي نفسه نظمت قصائد الفصل الثالث " بعد العاصفة " الذي هو نهاية الحكاية بالنسبة للقضية العربية وماذا تكون احساس الشاعر وامته في غمار حرب تنتظرها منذ امد غير يسير ، وماذا تكون الانفعالات ، وجيوش الدول العربية

(١) من قصيدة عنوانها " لاجي " * ارسلها الي الشاعر كاظم جواد ، وانظر قصيدة للجواهري عنوانها " اللاجئة في العبد " (ديوان الجواهري ٣ / ١٨٣) وقد استعار الفكرة الاساسية فيها من قصيدة " الريال المزيف " للشاعر بشاره الخورى (المهوى والشباب ص ٥٩)

تخوض المعركة ، وماذا تكون التأثيرات والشاعر نفسه من الداعين الى تلك الحرب " (١)

ولا يذهب بك الفكر الى ان هذا الديوان عبارة عن ملحمة شعرية تتسلسل اجزاؤها وترتبط فيها المقدمات بالنتائج ، بل هو مجموعة من القصائد تتصل بالقضايا الاجتماعية والسياسية للعالم العربي ، ولكنه خص مأساة فلسطين بجزء كبير منها ، وقد وفق من الناحية الفنية ايما توفيق .

وثمة شاعر اخر لم يكن اقل توفيقا من سبقه ، ان لم يكن قد بسّ غيره ممن تعرضوا للموضوع نفسه ، ذلك هو محمود الحوت الذي كان احد الذين نزلت بهم المأساة ، فعاشها وشهدها عن قرب ولمس اثارها في نفسه ، فكان خلاصة شعوره ملحمة اطلق عليها " المهزلة العربية " وقال عنها انها " اناشيد عربي من فلسطين ضل في الافاق " ولنستمع الى احدى مقطوعاته :

وبلي على امة نامت على ضعة	وما تنفس في امجادها رمق
كان ما قبل عن تاريخ صولتها	اسطورة مد في اجالها الحمق
والقادة الصبد جزارون ما شبعوا	فهل تمرد من قطعانها عنق
خسئت من امة عزلا لا هيبة	والموت من حولها يدنو وينطبق
ولم تزل في صراع الموت عارية	معطاء يصرخ فيها الفجر والشبق
الى متى انت يا شعبا بروح به	زور ويغدوبه في شرقه ملسق
تخشى الاولى حفروا الاجداث وانتظروا على المقابر ان يودي بك الفرق (٢)	

(١) من العراق ص ٥ - ٦

(٢) المهزلة العربية ص ٢٢

هذا ومن الصعوبة على الباحث ان يستقصي كل ما نظم عن مأساة فلسطين^(٢) وعن الاثار التي تركتها في الحياة الفكرية ، وحسبنا اننا المنا بالاتجاهات العامة لتأثيرات هذه المأساة .

٣ - فيصل الثاني

في يوم ٢ مايس سنة ١٩٥٣ تم بلوغ الملك فيصل الثاني الثامنة عشرة من عمره ، وفي اليوم نفسه احتفلت بغداد بانتقال السلطات الدستورية اليه ، بعد ان كانت بيدى خاله الوصي عبد الاله طوال فترة قصره ، وتفترن هذه الذكرى ، كذلك ، بقيام الحكم الوطني ، على عهد جده فيصل الاول ، مؤسس الدولة العراقية الحديثة .

ولئن كانت بغداد بالامس ، ميدان تنافس بين الشعراء ، وكان هذا التنافس ينبعث من بلاطات الخلفاء ، وليس هنا موضع الاطالة ، في ذكر الشعراء الذين ظهروا في فترات متعاقبة واسماء الخلفاء الذين بذلوا قصاراهم في تشجيع الشعر ورعايته ومع ذلك كله فلا تسمع من الشعر في ذلك العهد الا ما يدور في نطاق ضيق ، من الاغراض التي فيها شعراء تلك العصور ، على ان في اتساع الحركة العلمية وعمقها انذاك ما ملا الفراغ الذي تركه الشعراء في نطاق الشعر .

اما اليوم فان الاحساس الوطني ، والشعور بان الملك

(١) انظر الفلسطينيين (مطبعة الغرى في النجف) ١٩٣٩

رمز لحياة الامة ومستقبلها هو الذى يلهم الشعراء القصيد ، ومن
هنا نلاحظ الامل التي يعلقها الشعب على مليكه هي في مطلع
ما يستهل به الشعراء قصائدهم ، ولنستمع الى " تحية ملك وامل
شعب " (١) للشاعر عبد الحسين الملا احمد :

يا فيصل الشعب ان الشعب يبتهل يرجو من الله ان يحيا بك الامل
دم العراق وعين الله حارسه واهنا يعرش اليك اليوم ينتقل
اصبحت ملجأ هذا الشعب ان عصفت ريح الخطوب به اوضاقت السبل
كل العيون الى مرآك شاخصة يسرها انها بالعز تكحل

ثم يشبر الشاعر الى ما يعانيه الشعب ، وانه وليس هنالك
من يستطيع انقاذه الا الملك الذى يتحلى بالصدق والاخلاص والعمل :

مولاي شعبك بشكو سوء حالته فقد اضربه الاهمال والكسل
وليس الاك يا ابن الاكرمين فتى يرجى به الصدق والاخلاص والعمل

وما هكذا كان الشعراء يمدحون الملوك بالامر ، يوم
كانوا يستهلون تلك المدائح بالغزل والنسيب ، ثم يأخذون في
وصف الممدوح ويبالغون في الوصف ، وانك حين تقرأ قصيدة ابن
هاني في مديح المعز والتي يستهلها قائلا " ما شئت لا ما شاءت الاقدار " (٢)
تري الى اى حد بلغ الاسراف في الوصف ، ولكن شعراء هذا

(١) جريدة الدفاع ٦ ايار سنة ١٩٥٣

(٢) ديوان ابن هاني الاندلسي ص ٦٢ ، وانظر كذلك ديوان

داعي الدعاء ٢١١ - ٢٣١

العصر ، وقفوا موقفا معتدلا (١) - على الاجمال - وخلعوا من
الصفات ما ينطبق عليه الواقع او يقرب منه ، وبينما كان شعراء
الامر يستمطرون كف المدوح ، طالبين نواله تلميحاً او تصريحاً ،
نرى شعراء اليوم تحذوهم العاطفة الوطنية ، ويدفعهم ولاؤهم
لامتهم ان يتغنوا برمز المجد فيها ، ولنستمع في ذلك الى قصيدة
عنوانها " يا صاحب التاج " : (٢)

يوم لبغداد ما ابهى مباهجه يا صاحب التاج يا خير الرجال ابا

ثم يدعو الشاعر الى النهوض ، معرباً عن حال الشعب بانه مستعد
للتضحية والجهاد في سبيل الوطن وراء سيده :

يا ابن الابهاء بلغنا فيك غايتنا فانهمز بنا اننا جند لكم وظبا

ثم تلوح له اطراف الهزيمة والخيبة التي حلت بالعرب ، ولكن هذه
الاشباح سرعان ما تتلاشى حين يطلع عهد فيصل الثاني ، الذي ستتحول
الهزيمة فيه الى نصر :

والشعب يستقبل العهد الجديد وذا مليكه فيصل الثاني له اعتصبا
سينقذ العرب ما قد احاط بهما ويستعيد تراثا قبل ذا سلبا

ولعل اروع ما قيل في هذه المناسبة قصيدة " تحية الملك " (٣)

(١) اقرأ مقال الدكتور مهدي البصير ، وعنوانه " جولة في الشعر
العراقي الحديث " في مجلة دار المعلمين العالية . حزيران
سنة ١٩٥١ .

(٢) جريدة الزمان ٥ مايس سنة ١٩٥٣

(٣) جريدة الزمان ٥ مايس سنة ١٩٥٣

للجواهرى التي يستهلها بقوله :

ته يا ربيع بزهرك العطرالندى وبصنوك الزاهي ربيع المولد

ثم يدعو الشاعر ان يعيد الى بغداد اياما مفعمة باللفظ والكرم
والسودد ، يوم كانت قبلة الدنيا وحاضرة الخلافة :

فاعد على بغداد ظل غمامه باللفظ تنضح والندى والسودد
ايام كان لمذهب متعسرق تعنو الورى ونموذج متبغدد

ويخاطب الوصي عبد الاله ، الذى كان الحارس الامين للعرش قبل
ان يبلغ الملك فيصل قائلا :

عبد الاله وفي المكام شركة شاركت في خصل المليك الاوحد
يا ابن المواشم حرة عن حرة وابن الخلائف اصيدا عن اصيد
وابن الاباطح من قریش فجوة هي في المكام ذروة للمصعد

ثم يعود الى مخاطبه الملك ، والشاعر هنا يعن في عرض الصور
الاخاذة من ربيع باسم وطيف امس سعيد ، وصفوة امل مرجى ،
وتحسن بصفاء الاسلوب رسالته فكانك تستعرض تلك الصور التي
رسمها الشاعر :

يا نبتة الوادى ونبتة عطره يا نبتة الفجاج في اليوم الصدى
يا خطرة الامس المعارد طيفه يا صفوة الامل المرجى في غد
اشرق على الجيل الجديد وجدد وتول عرش الرافدين واسعد
وقد الجموع الى الخلاص تغزبه وبهم ، وخذامة وتخلد
واعمد لما شاء البناء فاعله شرفا وما لم ينجزوه فشيء
وتحر ادواء الشباب فداوها بالرفق يزدد من هواك وتزدد

وهكذا يدير هذه المعاني بأساليب متعددة ، اذ يطلب
الى المدوح ان يكون قائدا للامة يقبل عثراتها ، ويعالج
ادواءها ، ويأخذ بيدها الى محجة الصواب ، ويزيج عنها ما
اثقلها من قيود ، والامة بدورها تكلّم بعواطفها ، وترعاه بقلوبها
ولنستمع الى قصيدة "التاج بين جيلين" (١) لعدنان الراوى :

الرافدين تحفز ووثوب والظامان نواظر وقلوب

ثم يستعرض الشاعر مشاكل الجيل الجديد وامانيه :

جيل تفرد بالاسى ، يمينه صاغ القيود وما لديه مذهب
واقام بالآخرى شواخ مجده تهوى عليه فركتها محدوب

ثم يعرب عن اماله في مستقبل العراق :

ومع العراق وقد تسامق مجده جيل تحفزه الخطوب نهيب
ولديه في العرش المكين يصونه ملك يشب وقد نماه حليب
والتاج ترفعه العواطف للعلی وتحفه الامال فهو حبيب

ونجتزئ بهذا القدر من الشعر ، مما قيل في العهد الجديد ،
عهد فيصل الثاني ومن الصعوبة الاحاطة بكل ما قيل في هذه
المناسبة ، ولكن النماذج التي اوردناها تقدم صورة لما قيل ،
سواء كان ذلك من حيث الاسلوب او المعنى .

(١) ديوان "من العراق" ص ١٦

الخاتمة

لقد رأينا التطورات والاتجاهات الفنية التي طرأت على الشعر السياسي في العراق الحديث والتيارات والاحداث السياسية التي عملت على توجيهها ، وفيما يلي اجمال للنزعات والاتجاهات الفنية الجديدة ، خلال هذه الفترة :

١ - النزعة الوطنية

قويت هذه النزعة بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، لان العراق اقام بناء سياسيا وطنيا ، بعد ان كان جزءا من الامبراطورية العثمانية ، وبالرغم من الاحتلال البريطاني بعد هذه الفترة ، فلم تنطفيء هذه الروح الوطنية ، بل زادها الاحتلال شدة وقوة ، مما ادى الى انفجارها في الثورة العراقية ثم قيام الحكم الوطني الذي كان استجابة لامل الشعب العراقي .

وكان من اهم العوامل في يقظتها ، ان العراق رشح مدى عدة قرون الى الحكم الاجنبي فلقى منه الاهوال والمصائب ، كما ان ظهور هذه النزعة ، لدى الامم على اختلاف اجناسها ، كان له الاثر الواضح ، في سائر البلدان العربية ، ومن ضمنها العراق ، هذا بالاضافة الى الحقوق والواجبات المتعلقة بكل مواطن ، والتي لم تكن موجودة من قبل ، فقد اصبح من واجب كل مواطن ان يساهم في خدمة امته ، ويتمتع لقاء ذلك بحقوقه الطبيعية ، كما ان العواطف التي نجدها مبثوثة في الشعر العربي القديم ، من تعلق الشعراء باوطانهم ، انحدرت الى الشعر المعاصر .

وقد رأينا كيف ان الشعراء قاموا بتغنون بما يختلج في

نفوسهم من عواطف وطنية في كثير من المناسبات ، فهم يثنون الوطن
آمالهم وامانيهم ، ولئن كان وطن ابن الرومي ، بالامر ، بيته الذي
اضطر الى بيعه تحت عبء الدين ، فان الوطن ، لدى الشعراء المعاصرين ،
هو الارض التي تقوم عليها الدولة ، وبعد ان كان الشاعر العربي بالامر
يناجي حبيبته في كل مناسبة ، اصبح الوطن هو " ليلي " الشاعر الزهاوي ،
وحين تقرأ نجواه معها ، يخيل اليك انه يناجي غادة هام بها حبا
ووجدا ، فما تنتهي من القصيدة حتى تدرك ان الشاعر يخاطب وطنه
الحبيب .

ومن مظاهر هذه النزعة الدعوة الى ان يقوم البرلمان على
انتخاب صحيح ، وان تكون الحكومة منبثقة عن ارادة الشعب ، وقد
رأينا كيف وقف الشعراء ، من البرلمان اول تأسيسه ، ثم اشتدت
حملاتهم عنفا عليه ، واتجهت معظم تلك الاتهامات ، على ان البرلمان ،
لا يقوم على تمثيل صحيح لارادة الشعب ، وان اعضاء يوثى بهم
اعتباطا ، ومن ثم فان المحافظة على حقوق الشعب لا تتم ، الا اذا
استطاع هذا الشعب ان يملئ ارادته بواسطة ممثليه على الحاكمين .
ومنها الدعوة الى تحرير المرأة ومساومتها في الحياة العامة ،
فالروح الوطنية يجب ان تغرس في النفوس منذ الصغر ، ولا تستطيع
امرأة جاهلة ان تلقن بنيتها حب الوطن والتفاني في سبيله ، لانها
تعيش في افق فكري محدود ، لا تستطيع معه ادراك هذه النزعة
الجديدة ، التي اصبحت المرأة تتلقاها في قاعات الدرس ، وعلى صفحات
الكتب ، اكثر من تلقيها اباها في البيت ، او المجتمع ، وثمة ناحية اخرى ،
هي ان المرأة تكون نصف المجتمع على وجه التقريب ، وبقاء هذا النصف
من غير ثقافة ، امر يودي ، الى ضعف الكيان الاجتماعي ، الذي يقوم
عليه الكيان السياسي للامة ، وكذلك فان السماح للمرأة بممارسة حقوقها

السياسية كان جزءاً من الدعوة الى تحريرها ، وان اشتراكها في الانتخابات العامة ، يجعل تلك الانتخابات اقرب الى التمثيل الصحيح .

ومن مظاهر هذه النزعة الوطنية الدعوة الى الاخذ باسباب العلم والحضارة ، وهذه الدعوة وان كانت قد اثبتت في العهد العثماني ، فقد اشتدت في فترة الحكم الوطني ، ولعل مرد ذلك الى انقسام الناس فريقين : فريق يدعو الى المحافظة على التراث الثقافي الاسلامي ونبذ التيارات الثقافية الغربية ، بما تحمله في ثناياها من تجديد وآراء لم يألها المجتمع العربي من قبل ، لذلك فان الدعوة الى العلم كانت تتجه نحو الثقافة الغربية ، وما يتصل بها من اختراعات واكتشافات ، والاعتماد على ذلك كله في بناء الكيان الجديد ، وقد اخذ الزهاوي بقسط وافر في هذا المجال ، ولقي متاعب جمة من وراء دعوته هذه ، اضطر معها ان يهجر العراق حيناً من الدهر .

واصبحت النزعة الوطنية واضحة في المديح ، فلم يعد ذلك المديح منصبا على الممدوح فحسب ، بل اصبح متصلاً بالاماني الوطنية ، ومتناسباً مع ما يقدم الى البلاد من اعمال مشمرة ، ومجودات ترمي الى رفع مستواها ، ولئن وجدنا فريقاً من الشعراء يسلكون الاساليب القديمة في مدائحهم لرجال السياسة والحكم من اشادة بامجادهم وانسابهم وكرمهم ، فقد اخذ هذا اللون من الشعر يضمحل ويحل محله لون اخر يتجه الى تمجيد الاعمال التي قاموا بها ، والخدمات التي قدموها لوطنهم ، ومطالبتهم بالاصلاح وتحقيق اماني الامة ، كما نلمس في هذا اللون من الشعر قصداً في الغلو ، واعتدالاً في خلع الصفات على الممدوح ، وهكذا فقد اتجه هذا المديح اتجاهها وطنياً ، بعد ان كان يهدف الى استمطار كف الممدوح والحصول على نواله في الغالب .

اما نقد الحكومة ، فقد برزت النزعة الوطنية واضحة فيه ،
اذ اخذ الشعراء ينعون عليها اهمالها لشؤون البلاد ، ومواكبتها
للتيارات الخارجية ، وعدم اكرائها بمصالح الشعب ، ومن هنا وقف
الشعر السياسي ، اغلب الاحيان ، الى جانب المعارضة ، وكلما اشتدت
وطأته في النقد والتجريح كان اكثر قبولاً ورواجاً لدى الرأي العام ،
بصرف النظر عما فيه من خصائص فنية ، لان الناس يجدون فيه ، تعبيراً
عما في نفوسهم ، تحدوهم الرغبة الى القيام باصلاحات واسعة النطاق ،
تزول معها العلل الاجتماعية الموروثة ، والشاكل القائمة ، وعلى هذا
فان موقفهم لم يكن سلبياً مطلقاً ، انما كان يتجه الى حكومات تحقق
امانيهم وترضي نزعاتهم ، وقد راينا هذا اللون من الشعر ، يزداد
قوة وعنفاً ، على مرور الايام ، منذ بداية الحكم الوطني ، فيبلغ ذروته
بعد نهاية الحرب العالمية الثانية .

وانكشفت النزعة الوطنية ، لدى الشعراء ، عند تعرضهم للاحداث
السياسية التي مرت بها البلاد ، وبمقدار ما انطوت عليه تلك الاحداث
من خطورة تتعلق بمستقبل الوطن ، واماني الشعب اثارت الشعور وجهته
الى هذا الاتجاه ، ففي فترات القلق السياسي ، وفي تعرض الوطن للاخطار ،
وفي تبوء المناصب العامة ، حين يتجه الشعراء الى معالجة مثل هذه
الموضوعات لا ينسون آمالهم وامانيهم الوطنية .

٢ - النزعة القومية

لقد اشرنا كيف سرت هذه النزعة ، واجتاحت اقطار العالم بعد
قيام الثورة الفرنسية ، وبقظة الروح القومية في اوربا ، ولئن برزت
هذه النزعة في الادب العربي في العصر العباسي ، فانها كانت ذات
اثر ضعيف في الشعر ، وقد اتجهت آنذاك الى التفاضل بين العرب
وغبرهم ، استناداً الى رابطة النسب ، اما اليوم فانها ظهرت في الشعر

منطوية الى الدعوة الى توحيد كلمة العرب ، والتعاون بينهم على
اساس القومية .

ومن العوامل التي عملت على تقويتها ، ان الرابطة العثمانية ،
التي قامت على الدين ، وظهرت اصداؤها في الشعر العربي ، على
الاجمال ، لم يجد العرب فيها تحقيقا لامانيهم ، فحين نقض الاتحاديون
عهودهم ادرك العرب ان الدولة العثمانية قد اتخذت من هذه
الرابطة وسيلة لتثبيت كيانها السياسي ، كما ان النزعات التي ظهرت
في اوربا على اساس الدعوة الى فصل الدين عن الدولة ، سرت آثارها
الى الشرق ، فقامت الدعوة على ان الدين رابطة بين الانسان وربه ،
وان الدين لله ، اما الوطن فانه للجميع ، ومن هنا ، زالت - الى حد
كبير - الدعوة الى الرابطة الدينية ، لتحل محلها الرابطة القومية ، التي
انعكست آثارها واضحة في الشعر العراقي الحديث .

وان الاحداث التي وقعت في معظم اجزاء العالم العربي ،
جعلت الناس في هذا العالم يتجهون هذه الوجهة ، متخذين من رابطة
التاريخ واللغة والاماني المشتركة ، وسيلة لاقامة كيان جديد فقد راينا
كيف تعرضت مصر للنفوذ البريطاني ، وكافحت طويلا كي تتحرر منه ،
وقامت سوريا ولبنان ، تكافحان الانتداب الفرنسي ، وقام المغرب العربي
يعمل لنيل حريته من النفوذ الاوربي ، وقد بذل العراق جهودا
جبارة للتخلص من النفوذ البريطاني ، وقد نزلت بهذه البلاد كلها ،
مصائب جمة ، وتعرضت للخسائر والتضحيات الجسيمة ، في كفاحها من اجل
التحرر ، وقد احس كل قطر من الاقطار انه يستطيع ان ينال نجاحا اكبر
اذا تعاون مع تلك الاقطار ، التي يتصل معها برابطة القومية .

وكانت قضية فلسطين ، خاتمة الاحداث ، التي المت بالعرب ،
وجعلتهم ينظرون الى الاقطار التي تحدد بامتهم ، وانه ليس ثمة

سبيل لدفع هذه الاخطار ، الا بقيام وحدة قومية ، ولئن اتجه الشعر العراقي حيال هذه العاساة وجهات متعددة ، فانها في جملتها تدعو الى التعاون بين الشعوب العربية ، لرد الخطر المشترك ، وقد اشترك الشعراء والكتاب في هذه الدعوة ، وطفغت على الشعر بعد قرار التقسيم ، فامتلاء الشعر في هذه الفترة ، بروح اليأس والنقمة والالم .

٣ - النزعة الانسانية

برزت هذه النزعة في الشعر العراقي بصور متعددة فانجذبت الى العطف على الفقراء والمحرومين والدعوة الى تخفيف ما يقاسونه من آلام واوصاب ، وقد اتخذ الشعراء في موقفهم من هذه المشكلة الاجتماعية اتجاهين : الاول ، ان هذه المشاكل وليدة الاقدار والقسم ، وانها فوق ارادة الانسان ، وخبر وسيلة لتخفيف وطأتها هي العطف على اولئك الفقراء ، وبذل المساعدات لهم من جانب الاغنياء ، اما الاتجاه الثاني فلا يرى فيها الا انها وليدة ، النظم السياسية القائمة ، ومن ثم فان العطف والرحمة لا تجديان نفعا في حل هذه المشكلة ، انما يتم حلها عن طريق الثورة ، وتحطيم النظم القائمة ، ونلمس هذا الاتجاه في قصائد الجواهري وبحر العلوم .

واستمدت النزعة الانسانية بعض اسسها عن المذاهب السياسية الحديثة ، فان الدعوة الى السلم ونبذ الحرب ، ووصفها بانها وليدة الاطماع والتآرب العادية ، ولئن كانت بعض تلك المذاهب السياسية تدعو الى استخدام القوة ، فان منها ما يدعو الى التعاون والتآزر بين الامم والشعوب على اختلاف اجناسها ، وذلك وفقا للعقيدة او المذهب السياسي الذي يؤمن به الشاعر .

وكانت الحملات على الاستعمار جزءاً من هذه النزعة الانسانية ، لان هذا النظام يقوم على الاستغلال ، مما لا يتفق والمبادئ الانسانية ، ولئن اتخذت كل الدول المشتركة في الحرب الحرية شعاراً لها ، فان هذه الدول معظمها استهدفت لنقد الشعراء ، واتهمت بانها جميعاً تحارب لاغراضها الخاصة ، ومآربها الاستغلالية .

وفي الحرب العالمية ظهرت في الدعوة الى تجنب الحرب ، لما تنطوى عليه من ويلات تنصب على المحاربين ، والمدنيين في آن واحد ، فقد شهد الشعراء تلك المواكب التي تساق الى الموت قسراً ، وتلك القوى الجبارة التي تسخر لاغراض الحرب ، وتلك الموارد الهائلة التي تستهلك في امور لا تعود على البشرية الا بالويل والدمار ، فظفقوا يدعون الى السلم ، وبصورون تلك الولايات وينددون باولئك القادة الذين دفعوا العالم الى هذه الهاوية .

وابصر الشعراء الضائقة الاقتصادية التي نزلت بالناس من جراء الحرب ، وكيف ان موارد القوت كادت ان تنضب ، وقد بلغ الغلاء حداً عالياً ، فاخذوا يعرضون صوراً مختلفة لمثل هذه الحالات في قصائدهم ، ثم ينتهون الى ان زوال الحروب سيحقق للانسانية قسطاً وافراً من السعادة والتقدم نحو الخير .

ب - الاتجاهات الفنية الجديدة

١ - الملاحم

ونريد بها تلك القصائد الطوال التي تدور حول حوادث معينة ، ومثل هذه الملاحم لم يألفها الادب العربي من قبل ، وقد ذهب الادباء مذاهب شتى في تحليل ذلك ، وليس هنا موضع ذكر تلك الاسباب

التي ادت الى خلوّ الادب العربي منها ، وكل ما نقوله انها لم تظهر الا في وقت متأخر ، وكانت وليدة التيارات الخارجية ، ولعل شعراء مصر كانوا في طليعة من عالج هذا الفن في الادب العربي ثم انتقل الى سائر الاقطار ، وكان رائد هذا الفن في العراق جميل صدقي الزهاوي الذي قد استمد ملحمته " ثورة في الجحيم " من رسالة الغفران للمعري ، والكوميديا الالهية لدانتى ، فتحس حين قراءتها انها تنصب على وجهة تتعلق بالدين ، ولكتك لا تنتهي من قراءتها حتى تحس فيها ثورة على النظام والاضاع القائمة ، وقد اعرب عن ذلك بقوله " عجزت عن ايقاد ثورة في الارض فاوقدتها في السماء " وقد جعل الفكرة الاساسية في هذه الملحمة ان اهل الجحيم ، يضيفون ذرعا بما يقاسونه من آلام وعذاب ، فيقومون بثورة يستولون فيها على الجنة ، ويتخذونها مقرا لهم ، ومن هنا يستطيع القارئ ان يلمس الغرض الذي اتجه اليه الشاعر في ملحمة هذه .

ولئن كانت الحرب موضوعا لمعظم الملاحم في العصور السالفة ، فان الشعراء قد اتخذوا من الاوضاع السياسية القائمة موضوعات لملاحمهم ، ففي " المهزلة العربية " لمحمود الحوت وفي " الحرب والسلم " للماوى و " حفار القبور " لبدر شاكر السياب ، وفي غير هذه الملاحم ، تتبين الاتجاهات السياسية فيها ، على ان اكثر المعاني التي تدور حولها ، منبثق عن المذاهب السياسية الحديثة ، ولعل ذلك وليد الصراع القائم اليوم بين الاتجاهين المتناقضين اللذين قامت الدعوة اليهما ان " الفن للفن " ام " الفن لخدمة المجتمع " ؟

وقد انتشر هذا اللون من الشعر خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي الفترة التي اعقبتها ، وغلبت النزعة الرمزية على كثير من هذه الملاحم ، وتلمس فيها آثار التجارب الشعورية التي يحياها

الشعراء ، وهو اتجاه جديد في الادب العربي الحديث ، ونستطيع ان نتبين آثار هذا التحول من قراءتنا للشعر العربي القديم ، الذي عنى في الغالب ، بالقاء الحقائق ، دون الكشف عن النوازع التي تملأ قلب الشاعر .

٢ - المسرحيات الشعرية

لئن بلغت المسرحية الشعرية قمتهما في الادب الانجليزي على يدى شكسبير ، كما ألفها الناس في الغرب في مختلف الممالك والعصور ، فان الشرقيين لم يعرفوها الا في القرن العشرين حين تم الاتصال بالثقافة الغربية ، ولعل اول ما يظالعهنا في الادب العربي مسرحيات شوقي ، الذي يعد رائد هذا الفن ، فاتخذ من الاحداث السياسية ، ومن قصر الحب ، موضوعات لتلك المسرحيات الشعرية ، وقد نما الى جانبها لون اخر هو المسرحيات النثرية ، التي كانت اكثر عددا واخصب من الوجهة الفنية .

وكانت اولى المسرحيات ، التي تلمس فيها اتجاهها سياسيا هي "ثورة العراق الكبرى" وقد اشرنا اليها ، وذكرنا ما تنطوى عليه من نقص فني ، وان قوتها تكمن فيما تثيره من احساس يتعلق بالثورة التي قام بها العراقيون ضد الحكم البريطاني ، ولعل هذا الضعف الذي نلمسه في المسرحية في العراق ، ناشيء عن ضعف المسرح العراقي نفسه ، كما هو ناجم عن انصراف الشعراء عن هذا اللون من الشعر الى غيره ، ولعل في مستطاع الاديب ان يقتصر من المعانسي في كثرة ، والى يجعل الحادثة اكثر انطباقا على الواقع منه في الشعر . وهناك مجموعة من المسرحيات للشاعر "عبد الستار القرغولي" جعل عنوانها "روايات من تاريخ العرب" وللمؤلف نفسه مسرحية

"عدل الخلفاء" وكلتاها استمدتا من التاريخ العربي ، وقد اراد الشاعر ان يبعث العزة والتخوة في نفوس النشء ، فهو يتحدث عن وفاء السموأل ، وعدل عمر بن الخطاب ، وموقف المأمون من وزيره الذي اراد ان يهدم حائط حائك ، فاي رغم ما وعده الوزير به من مال ، وقد نظمت هاتان المجموعتان من المسرحيات لطلاب المدارس ، اما غرض الشاعر فهو ، ان يبعث في نفوس هؤلاء الشباب ، العزة القومية ، ويثير فيهم ذكريات الماضي المجيد كي يستمدوا منها قوة تعينهم على خلق مستقبل زاهر لامتهم ، وبث روح العدالة الاجتماعية ، وهكذا نلمس الاتجاه السياسي لهذه المسرحيات ، اما الناحية الفنية فيها فتقوم على الوضوح والبساطة ، مما يتناسب والمستوى العقلي لاولئك الناشئة .

٣ - الرمزية

تحدثنا عن الرمزية ، وقلنا انها لم تكن حديثة عهد في الادب العربي ، فقد استخدمها الادباء العرب ، وطرقوا بها ابواب السياسة ، وابواب التصوف ، ولعلنا نجد في قول المعري :

لا تقيد عليّ لفظي اني مثل غيري تكلمي بالمجاز

ما يعطينا صورة عن شعره وايغاله ، في الرمز ، كما ان اصحاب البلاغة قد وضعوا الكناية والاستعارة والمجاز وما اليها ، كي يغني التلميح عن التصريح .

ولم تكن محاولة الرمزيين هي الاولى من نوعها في خروجها على القواني والبحور ، فان الموشحات و الازجال ، كان ظهورها ثورة على اساليب الشعر العربي القديم ، وما نشهده اليوم من شعر حرّ

وشعر مرسل ، واسلوب رمزي ، انما تمثل هذه كلها ثورة جديدة في الادب العربي ، ولكنها ثورة لم تنبثق من صميمه ، انما هي وليدة تيارات خارجية ، انتقلت الى العراق عن طريق بعض البلدان العربية ، كما اشرنا ، ولكنها لم تظهر بشكل واضح في الادب العراقي الا بعد نهاية الحرب .

ولئن ادار الغربيون معظم معانيهم في الشعر الرمزي ، على امور لا تتصل بالسياسة فان الادب الرمزي في العراق ، يدور كثير منه حول القضايا والاتجاهات السياسية ، فان فواجع الحرب واحلام المستقبل ، والمآسي الاجتماعية ، كانت اكثر الموضوعات تكرارا في هذا الادب ، ولم يقتصر امرها على الشعر وحده ، بل اتجه اليها القاصون والكتاب في كثير من انتاجهم الادبي ، وقد تأثر هؤلاء الادباء - الى حد ما - بما كتب في هذا المجال خلال العصر العباسي الذي استمد منابعه من اصول فارسية وهندية انذاك .

ومع اتساع نطاق هذا اللون من الشعر ، فانه ما زال غير مقبول لدى الكثيرين من النقاد والادباء ، فقد وجهت اليه حملات عنيفة ، ولكن اصحابه ما زالوا معنيين في السير على الاتجاه نفسه ، وقد اتخذوا من بعض الصحف اللبنانية منابر لهم ، لان انتاجهم يلقي رواجاً في لبنان ، الذي انتشر فيه هذا المذهب اكثر من غيره من بلدان الشرق العربي .

على ان الامعان في الرمزية ، امعانا تنطس مع المعاني ، وتختفي الافكار والعواطف التي يريد الاديب عرضها ، يجعل القارئ يتردد في اقباله على قراءة هذا اللون من الادب ، فلم يعد للانسان متسع من الوقت لحل الرموز وفك الطلاسم ، واصبح الاتجاه الجديد هو الميل الى البساطة والوضوح ومن هنا بدأ الرمزيون - في الغالب - يسلكون طريقا وسطا في انتاجهم فلا يمعنون في الابهام والغموض .

٤ - الاوزان والقوافي

وظهرت محاولات اخرى لاطلاق الشعر من قيوده ، ومن بينها الشعر المرسل والشعر الحر ، ولعل ادباء المهجر كانوا اول من طرق هذين اللونين من الشعر ، وظهرت آثار هذا الاتجاه الجديد في الادب اللبناني ، ومنه سرى الى آداب الاقطار العربية الاخرى ، ومنها العراق ، ولئن كان سيره هنا بطيئا ، فسبب ذلك ان الادب العراقي بالرغم من اتجاهاته الحديثة ، استمر طويلا تحت تأثير المقاييس الفنية القديمة ، بل كان من اخر الاقطار العربية التي خرجت على تلك المقاييس .

ولا تجد شاعرا عراقيا اتجه نحو هذا الاتجاه الجديد قبل قيام الحكم الوطني ، ولكنك تلح بعض القصائد والمقطوعات في بداية هذه المرحلة لفريق من الشعراء الناشئين آنذاك ، وعلى ذلك ان التيار الجديد لم يتسن له من الوقت ما يجتاح به الادب العراقي ، هذا بالاضافة الى ضعف المؤثرات الخارجية آنذاك ، حيث كان في معزل عن الحياة الثقافية في مرحلتها الاولى ، وحين تقرأ الزهاوي او الرصافي او الشبيبي وهم رواد الشعر العراقي الحديث ، لا تجد في ذواوينهم لهذا الفن من أثر ، بل ان البحور والاوزان التي ساروا عليها في قصائدهم لم تخرج عما رسمه الاقدمون ، وان كان لهم من اثر في التجديد ، فانما يبدو واضحا فيما اودعوه اشعارهم من معان وافكار جديدة .

وقد طغى هذا الاتجاه الفني الجديد ، خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي الفترة التي اعقبتها ، وسار مع الشعر الرمزي ،

جنباً الى جنب ، ونلتصق في " اباريق مهشمة " و " الموسر العمياء " و " ازهار ذابلة " امثلة واضحة على ذلك .

ولسنا نستطيع ان نتنبأ الى اين ستقف الثورة علي الشعر القديم ، و لكننا نستطيع ان نقول ان الشعر السياسي الحديث ، في جملة ثورة على الشعر القديم ، فقد ادار الشعراء فيه قصائدهم على معان وافكار لم يألفها الادب العربي القديم ، وسلكوا من الاساليب الجديدة التي لم يطرقيها القدماء من قبل ، ومع ذلك كله فانه لم يتحرر تحرراً تاماً ، بل ما تزال نلح في معانيه و اساليبه آثار الفن القديم ...

مصادر البحث

الدواوين والملاحم والمجموعات الشعرية

- ١ - الاسدي - حسن احمد : مأساة فلسطين ، بغداد ، ١٩٤٨
- ٢ - الباجه جي - ابراهيم منيب : زنايق الحقل ، بغداد ، ١٩٣٦
- ٣ - بحر العلوم - محمد صالح : العواطف ، النجف ، ١٩٣٧
- ٤ - البستاني - وديع : ديوان الفلسطينيين ، بيروت ، ١٩٤٦
- ٥ - البصير - محمد مهدي : الشذرات ، بغداد ، ١٩٢٢
- ٦ - البصير - محمد مهدي : المختصر ، بغداد ، ١٩٢٤
- ٧ - البصري - مهدي السويج : الاوليات ، النجف ، ١٣٦٨ هـ
- ٨ - البناء - عبد الرحمن : ذكرى استقلال العراق ، بغداد ، ١٩٢٧
- ٩ - البياتي - عبد الوهاب : ملائكة وشياطين ، بغداد ، ١٩٥٠
- ١٠ - البياتي - عبد الوهاب : اباريق مهشمة ، بيروت ، ١٩٥٤
- ١١ - الجواهري - محمد مهدي : ديوان الجواهري ، بغداد ، ١٩٢٨
- ١٢ - الجواهري - محمد مهدي : ديوان الجواهري ، بغداد ، ١٩٣٥
- ١٣ - الجواهري - محمد مهدي : ديوان الجواهري (ظهر منه
ثلاثة اجزاء) بغداد ١٩٤٩ - ١٩٥٣
- ١٤ - جميل - حافظ : الجميليات ، بغداد ، ١٩٢٤
- ١٥ - الحبوبي - محمود : ديوان الحبوبي ، النجف ، ١٩٤٧
- ١٦ - الحبوبي - محمود : رباعيات الحبوبي ، النجف ، ١٩٥١
- ١٧ - الحيدري - بلند : اغاني المدنية الميتة ، بغداد ، ٢
- ١٨ - الحيدري - بلند : خفقة الطين ، بغداد ، ١٩٤٥

- ١٩ — الحيدري — طالب : الوان شتى ، بغداد ، ١٩٤٩
- ٢٠ — الحيدري — طالب : رباعيات الحيدري ، بغداد ، ١٩٥٢
- ٢١ — الحيدري — صفا : اوکار الليل ، بغداد ، ١٩٤٩
- ٢٢ — الحيدري — صفا : عبث ، بغداد ، ١٩٥٠
- ٢٣ — الحوت — محمود : المهزلة العربية (ملحمة شعرية) ، بغداد ، ١٩٥١
- ٢٤ — خليل — انور : من اصداء المعترك ، بغداد ، ١٩٥٢
- ٢٥ — الداودي — خلف شوقي : سعد زغلول في العراق (مجموعة
مراث) ، بغداد ، ١٩٢٧
- ٢٦ — الراضي — عبد الحميد : ثورة العراق الكبرى (ملحمة شعرية)
بغداد ، ١٩٣٨
- ٢٧ — الراوي — عدنان : هذا الوطن ، بغداد ، ١٩٤٧
- ٢٨ — الراوي — عدنان : من العراق ، بيروت ، ١٩٤٩
- ٢٩ — الراوي — عدنان : النشيد الاحمر (ملحمة شعرية) ، بغداد ، ١٩٥١
- ٣٠ — الرابطة الادبية — جمعية : الفلسطينيين (مجموعة قصائد) ، النجف ،
١٩٣٩
- ٣١ — الرجى — عبد الجبار : فيصل ملك العرب (مجموعة مراث لجماعة
من الشعراء) ، دمشق ، ١٩٣٣
- ٣٢ — الرصافي — معروف : ديوان الرصافي ، مصر ، ١٩٥٣
- ٣٣ — الرصافي — معروف : تنائم التربية والتعليم ، بغداد ، ١٩٥٠
- ٣٤ — الزهاوي — جميل صدقي : الكلم المنظوم ، بيروت ، ١٩٠٨
- ٣٥ — الزهاوي — جميل صدقي : رباعيات الزهاوي ، بيروت ، ١٩٢٣
- ٣٦ — الزهاوي — جميل صدقي : ديوان الزهاوي ، مصر ، ١٩٢٤
- ٣٧ — الزهاوي — جميل صدقي : اللباب ، بغداد ، ١٩٢٨
- ٣٨ — الزهاوي — جميل صدقي : الاوشال ، بغداد ، ١٩٣٤
- ٣٩ — الزهاوي — جميل صدقي : الثمالة ، بغداد ، ١٩٣٩

- ٤٠ — الزين — الشيخ احمد عارف واخرون : العراقيات (مجموعة قصائد) صيدا ، ١٣٣١هـ
- ٤١ — السماوى — كاظم : اغاني القائلة ، بيروت ، ١٩٥١
- ٤٢ — السماوى — كاظم : الحرب والسلم (ملحمة شعرية) بيروت ، ١٩٥٣
- ٤٣ — سماكه — محمد باقر : نسفات الفيحاء ، بغداد ، ١٩٤٠
- ٤٤ — السياب — بدر شاكر : ازهار ذابلة ، بغداد ، ١٩٤٨ .
- ٤٥ — السياب — بدر شاكر : اساطير ، النجف ، ١٩٥٠
- ٤٦ — السياب — بدر شاكر : زئير العاصفة ، بغداد ، ١٩٥٤
- ٤٧ — السياب — بدر شاكر : حفار القبور ، بغداد ، ١٩٥٢
- ٤٨ — السياب — بدر شاكر : المومس العمياء ، بغداد ، ١٩٥٣
- ٤٩ — الشباب القومي : روائع مختارة من الشعر القومي ، ؟ ، ؟
- ٥٠ — الشبيبي — الشيخ محمد رضا : ديوان الشبيبي ، مصر ، ١٩٤٠
- ٥١ — الشرقي — الشيخ علي : عواطف وعواصف ، بغداد ، ١٩٥٣
- ٥٢ — الشواف — خالد : شمسو (مسرحية شعرية) بغداد ، ١٩٥٣
- ٥٣ — الصبيحي — عبد الواحد : شاطئ الابد : بغداد ، ١٩٥٢
- ٥٤ — الطائي — خضر : قيس لبنى (مسرحية شعرية) : بغداد ، ١٩٣٤
- ٥٥ — طاقة — شانل : المساء الاخير : الموصل ، ١٩٥٠
- ٥٦ — طعمه — صالح جواد : ظلال الغيوم : بغداد ، ١٩٥٠
- ٥٧ — طعمه — صالح جواد : الربيع المحتضر : بغداد ، ١٩٥٢
- ٥٨ — الظريفي — حسين علي : الوطن (مسرحية شعرية في فصل واحد) : بغداد ، ١٩٥٠
- ٥٩ — عبد اللطيف — نعمان ثابت : شقائق النعمان : بغداد ، ١٩٣٧
- ٦٠ — عوبديا — ابراهيم يعقوب : في سكون الليل : مصر ، ١٩٤٧
- ٦١ — عوبديا — ابراهيم يعقوب : وابل وطل : بغداد ، ١٩٤٦

- ٦٢ - فاضل - اكرم : الكوميديا البشرية : بغداد ، ١٩٤٨
- ٦٣ - القريني - عبد الله : ديوان القريني : ؟
- ٦٤ - قصير - يوسف امين : نبي اعاصير الشباب : الموصل ، ١٩٤٨
- ٦٥ - الكاظمي - عبد المحسن : ديوان الكاظمي : دمشق ، ١٩٤٠
- ٦٦ - الكرخي - الملاعبود : ديوان الكرخي : بغداد ، ١٩٣٣
- ٦٧ - الكتعاني - نعمان ماهر : المعازف : بغداد ، ١٩٥٢
- ٦٨ - المحروق - محمود فتحي : فيثارة الريح : الموصل ، ١٩٥٤
- ٦٩ - مردان - حسين : قصائد عارية : بغداد ، ١٩٤٩
- ٧٠ - مردان - حسين : اللحن الاسود : بغداد ، ١٩٥٠
- ٧١ - الملايكة - نازك : عاشقة الليل : بغداد ، ١٩٤٧
- ٧٢ - الملايكة - نازك : شظايا ورماد : بغداد ، ١٩٤٩
- ٧٣ - الناصري - عبد القادر رشيد : صوت فلسطين : بغداد ، ١٩٤٨
- ٧٤ - الناصري - عبد القادر رشيد : الحان الالم : بغداد ، ١٩٣٦
- ٧٥ - النقدي - محمد : الاشباح الظالمة : بغداد ، ١٩٥١
- ٧٦ - النقدي - موسى : اجنحة النور : بغداد ، ١٩٥٢
- ٧٧ - النجفي - احمد الصافي : الامواج : بيروت ، ١٩٣٢
- ٧٨ - النجفي - احمد الصافي : التيار : دمشق ، ١٩٤٦
- ٧٩ - النجفي - احمد الصافي : الحان اللهب : دمشق ، ؟
- ٨٠ - النجفي - احمد الصافي : شرر : بيروت ، ١٩٥٢
- ٨١ - النجفي - احمد الصافي : الاغوار : بيروت ، ١٩٤٤
- ٨٢ - النجفي - احمد الصافي : حصاد السجن : بيروت ، ١٩٥٣
- ٨٣ - الهاشمي - محمد : عبرات الغريب : دمشق ، ١٩٢١
- ٨٤ - الوترى - اكرم : الوتر الجاحد : بغداد ، ١٩٥٠
- ٨٥ - يوسف - سعدى : الفرسان (ملحمة شعرية) : بغداد ، ١٩٥٢

الكتب العربية

- ٨٦ - بطي - رفائيل : الادب العصري في العراق العربي ، بغداد ، ١٩٤٢ ،
٨٧ - بطي - رفائيل : سحر الشعر : بغداد ، ١٩٤٢ ،
٨٨ - البدرى - سعيد : آراء الرصافي في السياسة والدين
والاجتماع : بغداد (مطبعة المعارف) ، ؟
٨٩ - الحانى - ناصر : نقد وادب : بغداد ، ١٩٥١ ،
٩٠ - الحانى - ناصر : محاضرات عن جميل صدقي الزهاوى :
مصر ، ١٩٥٤ ،
٩١ - الحسنى - عبد الرزاق : تاريخ الوزارات العراقية (ظهر
منه ستة اجزاء) : صيدا ، ٣٣ - ١٩٥٣ ،
٩٢ - الحسنى - عبد الرزاق : تاريخ العراق السياسي الحديث :
صيدا ، ١٩٤٨ ،
٩٣ - حداد - كمال عثمان : حركة رشيد عالي الكيلاني : صيدا ،
١٩٤٩ ،
٩٤ - الحوماني - محمد علي : بين النهرين ، دجلة والفرات :
بيروت ، ١٩٤٦ ،
٩٥ - الخاقاني - علي : شعراء الحلقة او البابليات (خمسة اجزاء) :
النجف ، ١٩٥٢ ،
٩٦ - الخاقاني - علي : شعراء الغرى او النجفيات (ظهر منه
جزآن) : النجف ، ١٩٥٤ ،
٩٧ - الريحاني - امين : فيصل الاول : بيروت ، ١٩٣٤ ،
٩٨ - الريحاني - امين : قلب العراق : بيروت ، ١٩٣٥ ،

- ٩٩ - السحرتى - عبد اللطيف : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث : مصر ، ١٩٤٨
- ١٠٠ - الرشودى - عبد الحميد : ذكرى الرصافي : بغداد ، ١٩٥٠
- ١٠١ - شرف الدين - صدر الدين : سحابة بورتسموث : بيروت ، ١٩٤٨
- ١٠٢ - ضيف - شوقي : دراسات في الشعر العربي المعاصر : مصر ، ١٩٥٣
- ١٠٣ - طبانة - بدوى احمد : معروف الرصافي : مصر ، ١٩٤٧
- ١٠٤ - طبانة - بدوى احمد : ادب المرأة العراقية : مصر ، ١٩٤٨
- ١٠٥ - علي - مصطفى : الرصافي (ظهر الجزء الاول منه) : بغداد ، ١٩٤٨
- ١٠٦ - العبيدى - مهدى : حقيقة الزهاوى : بغداد ، ١٩٤٧
- ١٠٧ - فرح - جورج : اسرار السياسة الدولية في الشرق الاوسط : بيروت ، ١٩٥٢
- ١٠٨ - المدرس - فهمي : مقالات سياسية تاريخية اجتماعية : بغداد ، ١٩٣١
- ١٠٩ - المقدسي - انيس : الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث (جزآن) : بيروت ، ١٩٥٣
- ١١٠ - ميور - توماس : النتائج السياسية للحرب العظمى (الترجمة العربية) : مصر ، ١٩٣٦

المجلات

- ١١١ - الاعتدال : محمد علي البلاغي : النجف
- ١١٢ - ابو لو : احمد زكي ابو شادى : مصر
- ١١٣ - البيان : علي الخاقاني : النجف

- ١١٤ — الثقافة : لجنة الترجمة والتأليف والنشر : مصر
١١٥ — الثقافة الجديدة : عبد الرزاق الشيخلي : بغداد
١١٦ — الحرية : رفائيل بطي : بغداد
١١٧ — الحديث : سامي الكيالي : حلب
١١٨ — العرفان : احمد عارف الزين : صيدا
١١٩ — الغرى : شيخ العراقيين آل كاشف الغطاء : النجف
١٢٠ — القلم الجديد : عيسى الناعوري : الاردن
١٢١ — الطليعة : رجا حوراني : دمشق
١٢٢ — الكاتب المصري : طه حسين : مصر
١٢٣ — الكتاب : عادل الغضبان : مصر
١٢٤ — المشرق : لويس شيخو : بيروت
١٢٥ — المجلة : دنون ايوب : بغداد
١٢٦ — مجلة دار المعلمين العالية : دار المعلمين العالية : بغداد
١٢٧ — المكشوف : فؤاد حبيش : بيروت
١٢٨ — الهاتف : جعفر الخليلي : النجف

الجرائد

- ١٢٩ — الاخبار : جبران ملكون : بغداد
١٣٠ — الاستقلال : عبد الغفور البدرى : بغداد
١٣١ — الانقلاب : محمد مهدي الجواهري : بغداد
١٣٢ — البلاد : رفائيل بطي : بغداد
١٣٣ — دجلة : رشيد الهاشمي : بغداد
١٣٤ — الدناع : صادق البصام : بغداد

- ١٣٥ - الزمان : توفيق السمعاني : بغداد
١٣٦ - الشرق : حسين افنان : بغداد
١٣٧ - لواء الاستقلال : حزب الاستقلال : بغداد
١٣٨ - المفيد : ابراهيم حلي العمر : بغداد
١٣٩ - العراق : رزوق غنام : بغداد
١٤٠ - العالم العربي : سليم حسون : بغداد
١٤١ - الكرخ : عبود الكرخي : بغداد
١٤٢ - النضال : غربي الحاج احمد : الموصل

المجموعات الخطيئة

- ١٤٣ - احمد الصافي النجفي
١٤٤ - حافظ جميل
١٤٥ - حسين مردان
١٤٦ - خالد الشواف
١٤٧ - عبد الستار القرغول
١٤٨ - عبد الحسين الملا احمد
١٤٩ - عدنان الراوي
١٥٠ - غربي الحاج احمد
١٥١ - كاظم جواد
١٥٢ - ناجي القشطيني

المصادر الأجنبية

- ١٥٣ — Arbery, Arthur John: Modern Arabic Poetry (London 1950)
- ١٥٤ — Brocklemann, Carl: Geschichte der Arabischen Literature, 2 v. (Leiden, Brill 1943-49), Supplemented 3 v. (Leiden, Brill 1937-42)
- ١٥٥ — Churchill, Winston: The Second World War (London 1950)
- ١٥٦ — Ireland, Phillips Willard: Iraq, A Study of Political Development (London, 1937)
- ١٥٧ — Khadduri, Majid: Independent Iraq (London, 1951)
- ١٥٨ — Krachovesky, Ignaz: Jamil Sidqi az-Zahawi, ~~at~~ Baghdad (1905-1935)
- ١٥٩ — Longrigg, Stephen H.: Iraq, 1900 to 1950 (London, 1953)
- ١٦٠ — Nickolson, Reynold A.: A Literary History of the Arabs (Cambridge, 1930)
- ١٦١ — Paiforce: The Official Story of Persia and Iraq Command; His Majesty's Stationary Office (London, 1941-46)
- ١٦٢ — Shorer, Mark and Others: Criticism (N.Y., 1948)

الفهرس

الشعر السياسي في العراق الحديث

١ - المقدمة (عوامل نمو الشعر السياسي وادواره)

٢ - الفصل الاول : فترة الانتداب

١ - فيصل الاول

٢ - البرلمان

٣ - المعاهدات

٤ - النفوذ الاجنبي

٣ - الفصل الثاني : بداية الاستقلال

١ - العراق وعصبة الامم

٢ - ازمة الحكم

٣ - مصرع الملك غازى

٤ - الاماني القومية

٤ - الفصل الثالث : الحرب العالمية

١ - المرحلة الاولى

٢ - المرحلة الثانية

٣ - المرحلة الثالثة

٥ - الفصل الرابع : بعد الحرب

١ - الرمزية في الشعر السياسي

٢ - فترة من القلق

٣ - فيصل الثاني

٦ - الخاتمة (في النزعات والاتجاهات الفنية الجديدة في الشعر السياسي)

بحث موضوع الشعر السياسي في العراق الحديث ، في مرحلة مداها ثلاثة وعشرون عاماً تبدأ من سنة ١٩٢٠ ، حيث اقيمت اول حكومة وطنية ، نادت بفيصل الاول ملكاً على العراق وتنتهي هذه الفترة في سنة ١٩٥٣ حيث انتقلت السلطات الدستورية الى الملك فيصل الثاني بعد ان كان تحت الوصاية .

وقد ذكرت في المقدمة الاسباب التي دعتني لمعالجة هذا الموضوع ، واهمها انه اصاب من الاتساع والتجديد ما لم يصبه غيره من فنون الشعر ، ان طغى عليها جميعاً تحت تاثير المفاهيم السياسية الحديثة ، واتساع نطاق واجبات الدولة ووظائفها . وتعرضت للصعوبات التي تجابه الباحث في هذا الموضوع ومنها ١ - صعوبة تجرده عن الفترة التي يعايشها من حياة امته ب - النقص في مجموعات الصحف ، ٢ - وعدم وجود فهارس لها ٤ - ان كثيراً من الشعر لما ينشرب . وذكرت العوامل التي ادت الى نهضة الشعر السياسي وهي = ١ - الاحزاب ، ٢ - الجمعيات السياسية بما كان يلقي في حفلاتها ومهرجاناتها من قصائد سياسية ، ٣ - الصحف ٢ - التيارات الفكرية الخارجية ٤ - الوعي العام . وقمت بتقسيم البحث الى اربع فترات ١ - فترة الانتداب ٢ - بدايئة الاستقلال ٣ - الحرب العالمية الثانية ٤ - بعد الحرب . وكانت اهم الاحداث التي وقعت في فترة الانتداب نبوءة فيصل الاول العرش ، وقد ادار الشعراء قصائدهم على المعاني التالية =

١ - اتصاله مع الرسول رابطة النسب ب - تحليله بصفات الحكمة والقيادة ، ٢ - ثقة الشعب به ، ٣ - ثقة الحكومة ه - ثقة الاحلاف و - الامال في اعادة بغداد الى عهد الزاهر ٤ - الاماني المتعلقة باستقلال البلاد وتحريرها من الحكم الاجنبي .

ولئن كانت هذه المعاني معظمها جديد في الشعر السياسي ، فان الخصائص الفنية ، لم يطرأ عليها من التجديد الا شي يسير . وفي هذه الفترة قام اول برلمان عرفه العراق في تاريخه ، وقد اطلق على

اولى دوراته " المجلس الناسيسي " وقد وقف منه معظم الشعراء بين مؤيد ومعارض واداروا معانيهم على ١ - انه من مظاهر الاستقلال التام ب - حمايته للحرية وصيانتها لحقوق الشعب ح - ان افراده عليهم ان يتخفوا بالعلم والعدالة والشجاعة ليتسنى لهم المحافظة على حقوق الشعب .

اما المعارضون فقد كانت قصائد هم تنجى الى التنديد به ٢ وانها ١ - بانه اصبح اداة بيد الحكومة لارضاء المحسوبين واسكات المعارضين ب - وان اعضاء مجلسهم من شيوخ القبائل والجهال الذين لا تهمهم مصلحة البلاد بمقدار ما تهمهم مصالحهم الخاصة ح - وانهم يستندون سندهم من النفوذ الاجنبي لامن الشعب الذى يمثلونه ه - وانهم قد اهلوا القضايا الكبرى واشغلوا انفسهم بالقضايا الصغيرة ما جرّ الويلات على البلاد و - وانهم اتخذوا من قاعة البرلمان مقهى يقتلون فيه اوقانهم في التدخين والنسبية .

اما المعاهدات فقد راي فيها الشعراء انها ١ - قيود للشعب والوطن ٢ ب - انها صفقة عقدت بين الذئب والحمل ح - انها من ادوية الغرب التي لم تنجح في علاج الامراض التي تعانيها الدولة ه - انها لم تحقق آمال الوطن ٢ بل اضاعت تلك الامل و - ان الاستقلال الذى تنص عليه انما هو استقلال مزيف ز - انها تنطوى على التنبؤ والتضليل من جانب بريطانيا ٢ بما تتمعه فيها من غموض وابهام ح - الدعوة الى تنزيقها بالقوة . اما المؤيدون لتلك المعاهدات فقد راوا فيها تحقيقا لاماني البلاد ٢ واعترافا باستقلالها ٢ وزوال النفوذ الاجنبي عنها .

اما النفوذ الاجنبي ٢ فان المعاني التي دارت حوله في قصائد الشعراء تتلخص في ١ - ان الحكم الوطني مظهر لحقيقة اجنبية ب - ان الوزارات تقوم بمشيئة الانجليز ٢ ج - ان فقدان العدالة يرجع في اصله الى ذلك النفوذ الاجنبي ه - وان رجال الحكم لا يعملونه الا بوجهي بوجي من ذلك الحكم و - وان حقوق الشعب مهدورة بسببه ز - وان الحاكمين معظمهم ليسوا من ابناء البلاد انما هم من الدخلاء ح - وان المستشارين الاجانب هم

الذين يملون ارادتهم على الحاكمين ط - وان هذا النفوذ هو الذي ادى الى السيطرة على النفط لمصلحة المستثمرين ، وانطوت الدعوة في ذلك الى الثورة من اجل ان تحصل البلاد على حقوقها منهم . ي - وان الثقافة قد استخدمت لتثبيت هذا النفوذ .

الخصائص الفنية =

ان المعاني التي طرقها الشعراء في قصائدهم خلال هذه الفترة ، انطوت على افكار جديدة لم يالفها الشعر العربي من قبل ، اما الخصائص الفنية ، فليس فيها ثمة من جديد ، انما هي امتداد لتلك الخصائص التي ظهرت في الشعر العراقي خلال العصر العنابي ، وتتسم تلك القصائد على الاجمال ، بالبساطة والوضوح ، وبالقائه الحقائق دون الاتجاه نحو التأمل الذاتي ، او سبر اغوار النفس لابرار ما تطويه من عواطف وانفعالات .

بداية الاستقلال = وقد رأى الشعراء ١ - ان فترة الحكم الوطني لم تحقق ما علق عليها من آمال ب - وانها لا توحى بمستقبل يبشر بالخير للوطن ج - واشتدت الحملة على الفئة الحاكمة د - وانطوت تلك الحلقة على الدعوة الى الثورة وتخدير النظم القائمة .

وفي هذه الفترة توفي الملك فيصل الاول ، ورثي بعدد وافر من القصائد دارت على ١ - انه كان معقدا امل البلاد ورجائها ب - وان البلاد العربية باجمعها كانت تعلق امالها عليه ج - وان ما يتمتع به من صفات عالية ، قد ادت الى خسران قائد عظيم كان في مقدوره ان يسير بالبلاد الى الامام .

ومثل هذه المعاني ادارها الشعراء بمناسبة وفاة الملك غازي . وفي انقلاب بكر صدقي وقف الشعراء بين مؤيد للحركة يرى فيها مصلحة البلاد ، وانها ولادة الاوضاع السيئة ، وذهب فريق الى شجبها والتنديد بها .

وفي هذه الفترة قويت النزعة القومية ، فقام الشعراء بدعون الى ١ - نبذ
 الخلافات الدينية ، والتمسك بالوحدة القومية ب - استخدام القوة لتحقيق الاماني
 القومية ج - الامل المشتركة للعالم العربي د - المصائب التي نزلت بالاقطار العربية
 المختلفة ، واتخاذها وسيلة لبعث الاحسان والعزة القومية في النفوس .

الخصائص الفنية للشعر في هذه الفترة = ان التطورات الفنية في الشعر
 السياسي خلال هذه الفترة ، كانت ضعيفة الاثر ، ويمكن القول انها امتداد لما
 قبلها ، باستثناء بعض المحاولات ، التي لم تترك آثارا فنية ظاهرة في الشعر ، بل
 كانت على نطاق محدود ، وعلّة هذا الركود ، انه لم يطرأ تحول اساسي في الحياة
 السياسية او الفكرية والاجتماعية ، بل استمرت هذه كلها على ما كانت عليه من قبل .

الحرب العالمية الثانية = ان للحرب آثارا واضحة في الشعر لدى معظم
 الامم وفي مختلف العصور ، وبرزت تلك الآثار ما نقرأه اليوم من ملاحم شعرية تتصل
 اتصالا وثيقا بالناحية السياسية ، وفي عصرنا الحاضر اصبحت الحرب من اعظم بواحد
 الشعر السياسي ، لانها اخر الحلول التي يلجأ اليها ساسة الامم وقادتها .

وقد اتجه الشعراء الى ١ - الدعوة الانسانية ب - ومن ضمنها
 الدعوة الى تحرير الوطن من الغاصبين ج - وان الغربيين هم المسؤولون عن اثاره
 هذه الحرب د - وان الاحرار قد اضطهدوا بسبب ظروف الحرب ه - وصف كوارث
 الحرب وويلاتها و - الامل المعلقة على نهاية الحرب ، من سلام بين الامم ومساواة
 في الحقوق .

وفي المرحلة الثانية من الحرب وقف الشعراء ١ - يؤيدون وطنهم ب -
 ويسخرونه بالعدو ج - ويدون الى اغتنام الفرصة د - ويذكرون الحلفاء بجهودهم
 التي نقضوها ه - ويذكرون الامة بماضيها المجيد و - ينعمون على الانجليز
 فظائعهم ز - ويصورون المستقبل الذي سوف يتحقق فيه الاستقلال التام للبلاد .

وقام فريق من الشعراء ١ - ينددون بحركة ايار ب - ويصفون ما جرته
 على البلاد من ويلات ومصائب ج - ولغوا على القائمين بها حملتهم وطيشهم .

وفي المرحلة الثالثة ، قويت النزعة الانسانية واتجه الشعراء الى وصف ١ -
 اثار التدمير التي احدثتها القنبلة الذرية ب - الضائقة الاقتصادية ، وما يعانيه
 الفقراء من فقر وحرمان ج - وصف السجون التي اطبقت على فريق من الناس بسبب
 الحرب وانهم يستعذبون عذابها في سبيل الوطن ومصلحة البلاد د - وصف الحوادث
 التي تنزل بالناس في الميادين الحربية وغيرها هـ - تسفيه قادة الامم الذين ساقوا
 العالم الى هذه الكارثة و - الامال المنعقدة على مؤتمر السلام في (سن فرنسكو)

الخصائص الفنية - في هذه الفترة اتسعت المعاني التي ادار الشعراء عليها
 قصائد هم ، كما حدثت تطورات ملموسة في الاتجاهات الفنية ، فقد قامت بعض المحاولات
 لاطلاق الشعر من قيوده ، كما ان الرمزية اخذت تظهر في الشعر السياسي ، واصبحت
 تلصص ميلا لدى الشعراء لنظم القصائد الطوال ، في وصف الاحداث السياسية والاطوار
 الاجتماعية التي تمر السياسة .

بعد الحرب = في هذه المرحلة ظهرت اثار الحرب واضحة في الشعر
 السياسي ، لزوال الظروف التي لابتست الحرب ، والتي كانت العامل الاساسي في
 عدم ظهورها واضحة في تلك الفترة فقد استشرت الرمزية في الشعر السياسي ، واتجه
 هذا اللون من الشعر الى ١ - تصوير المستقبل الذي سيعم فيه السلام وتزول
 الحرب ب - والتنديد بمثيري الحرب ج - ووصف الدوافع التي تدفع هؤلاء الى
 اثارها د - وعرض صور لفواجع الحرب ومآسيها .

وفي هذه الفترة عاد موضوع المعاهدات يثير الحماسة في نفوس الشعراء ،
 فطفقوا يوجهون التهم التي وجهت اليها من قبل ، ويصفون الاحداث التي لابستها
 واشتد النقد الى الفئة الحاكمة ، وقد انطوى ذلك النقد الى الدعوة الى الثورة
 وتحطيم النظم القائمة .

اما قضية فلسطين ، فقد تركت في الشعر اثارا واضحة ، وكانت لجهة
 الشعراء معتدلة في المرحلة الاولى ، ثم لم يلبث ذلك الاعتدال ان تحول الى تهديد
 ووعيد وسخرية بالعدو ، وحين وقعت الكارثة ادار الشعراء قصائد هم على المعاني

التالية ١ - السخرية بالحكومات العربية لاضاعتها الوقت في اعمال لاتجدي ب -
 السخرية بالجامعة العربية التي لم تستطع انقاذ فلسطين من محنتها ج - ان
 الهدنة كانت الخطوة الاولى لاضاعة حقوق العرب د - ان الحكومات العربية كانت
 تواكب التيار الانجليزى الامبري ه - كما اخذ الشعراء يصفون مآسي اللاجئين
 وما يقاسونه من عذاب وحرمان .

وكانت خاتمة الاحداث تسلم الملك فيصل الثاني سلطاته الدستورية ٢ فكانت
 المعاني التي ضمنها الشعراء قصائد هم هي ١- انه معقد آمال الوطن ب - الاشادة
 بامجاده الماضية ج - ان الشعب يرعاه بمواطنه ويحوطه برعايته .
 وفي خاتمة البحث اجملنا التطورات التي طرأت على الشعر السياسي ٢ من حيث
 الفكرة او الفن ٢ اما النزعات الفكرية التي طرأت عليه او اتخذت اتجاها جديدا فهي =

١ - النزعة الوطنية

٢ - النزعة القومية

٣ - النزعة الانسانية

اما الاتجاهات الفنية التي ظهرت فيه فهي =

١ - الرمزية

٢ - الملاحم

٣ - المسرحيات

٤ - التجديد في الالوزان والقوافي